جرعة تفاؤل

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: جرعة تفاؤل

اسم المؤلف: طه رمضان كامل

التدقيق اللغوي: آية أحمد

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: عمر اسامة

رقم الإيداع: ٢٠٠١٨ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٧٢-٦-٨




ش- حسن خطاب – قسم يوسف بيك – الزقازيق – الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

جرعة تفاؤل





إهداء

إلى محبي المرح، وعشاق التفاؤل.

إلى من يعانون من واقع ممتلئ بالمتاعب، لكن، حلمهم في السعادة أكبر.

أهديكم الواقع بنكهة مختلفة.

أيوه مختلفة، حلول مبتكرة لمشاكل كثيرة، وبضحكة حلوة.

(١)

خلي السعادة عادة.

نظرة عينيك تسحرني، والشوق إليك حيرني، عطف وحنان من الزمان، ولّا عشان جميل جمال، زي الغزال!

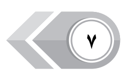
ليه كل الأزهار بتحبك، والطير والناس!

كلمات فريد الأطرش يستمع إليها الجالسون في قهوة الحاج عويس أمام مكتبة السعادة.

مكتبة السعادة تلك هو عنوان مكتبة على ناصية أحد الشوارع بمحافظة قنا بصعيد مصر، والقريبة من مبنى مديرية الأمن والبنك الأهلي، حيث يجلس أستاذ عباس تفاؤل على كرسيّه البلاستيك مرتديًا قميصه المقلم الواسع بألوانه الحمراء والصفراء، وبنطلون جينز أزرق اللون واسع أيضًا؛ فهو يعشق الملابس الواسعة التي لا تُظهر تفاصيلَ جسده السمين بعض الشيء.

مر عليه كالعادة المهندس "محمد أمين".

صباح السعادة يا عمي عباس.



عباس: أهلًا، صباح الفل يا هندسة.

إيه يا عمي عباس، مفيش عندك كتب جديدة النهار ده!

عباس: محتاج كتاب عن إيه يا هندسة؟

محمد أمين: بصراحة، ولا هتفهمني غلط؟

عباس: قول يا بني، وخلصني، مش ناقصة تعكير مزاج؛ أنا النهار ده صاحي مزاجي رايق، وبشرب القهوة أهو؛ علشان أزوّد هرمونات السعادة، متلخبطش المود؛ لأن المود عالي، الله يباركلك، وقول عايز كتاب عن إيه؟

محمد أمين: حاضر، حاضر يا عمي عباس، أنا بصراحة محتاج كتاب عن فن التعامل مع قليل الذوق.

عباس "بضحكات مستمرة": كدا خليتني دلقت القهوة من كتر الضحك، الله يسامحك، يلا بقى، مش مهم، رفعت المود برضه.

على ضحكات الأستاذ عباس، ينفعل رمزي عامل المكتبة، ويدخل في موجة من الضحك الهستيري بصوت عالٍ.

رمزي جسده هزيل، ورفيع، ومتوسط القامة، يرتدي بنطلون ليكرا بني، ويربطه بشريط من قماش بدلًا من الحزام، وتيشيرت نصف كم أصفر اللون، مليء بالتراب من نظافة المكتبة، ويمسك فوطة حمراء بيده يلوح بها لأعلي وأسفل، ويتخذ وضعية الركوع مستندًا على رف المكتبة؛

خوفًا من الوقوع من شدة انغماسه في الضحك.

***

محمد أمين "بضحك": وه، وه يا رمزي! حتى أنت كمان بتضحك عليّ! والله هُزلت!

أستاذ عباس يرد بابتسامة، وينظر لعيون المهندس محمد مباشرة: يا بني، أنت مش محتاج تعرف تتعامل إزاي مع قليل الذوق؛ لكن، محتاج تعرف إزاي تِطّلع الحلو اللي جواه، أو إزاي تتجنب الوحش اللي منه؛ كل واحد له مفتاح، ابحث عنه، تاخد منه أحلى ما فيه، لو مش قادر ابعد عنه، ترتاح منه، ولا تدعي له، ولا تدعي عليه، ولّا أقلك! لو في يوم حد ظلمك، ادعي له بالسعادة، أنا بعمل كده؛ علشان السعادة يا بني بتريح البال، وصاحبها عمره ما يزعّل حد.

المهندس محمد: يا سلام يا عمي عباس على الحكم! يعني واحد ظالم أدعي له بالسعادة! طب تيجي إزاي! وبعدين، ممكن الشخص المؤذي يكون سعيد أكثر لمّا يُؤذي غيره، يعني لو هدعي له، أدعي له إن ربنا يهديه أحسن، ولا ايه!

عباس: عندك حق يا بني، ادعي له ربنا يسعده بالهداية.

محمد أمين: برده، السعاة تاني!





محمد أمين: طب ها! هتديني كتاب عن إيه بقى؟

أستاذ عباس: هاتله يا خالد يا بني كتاب "استمتع بحياتك".

أستاذ "خالد" الفتى الثلاثيني، والمسؤول عن المبيعات بالمكتبة: ياه يا عمي عباس، بالرغم إن الكتاب دا بسيط جدًا، إلّا إن تأثيره عجيب، هتتبسط منه جدًا يا هندسة.

محمد أمين: إيه ده! شوّقتني، وريني كده أما شوف.

خالد: اتفضل، دي آخر نسخة.

محمد أمين وهو يقلب صفحات الكتاب: أمممم، جميل! وأدي أول صفحة، بسم الله.

ظل يقلب صفحات الكتاب، ليقف أمام مقولة: واعلم أيها القارئ أن للقلوب مفتاحًا هو الكلمة الطيبة، فإن أحببت شخصًا فقل له: إني أحبك كما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: "يا معاذ، إني أحبك".

قل لأخيك أيها القارئ أنك تحبه، بل قل له أنك تحبه أكثر من ملايين الناس وأنت صادق؛ فهناك ملايين من الناس الذين لا تعرفهم، وبالطبع أنت تحبه أكثر منهم.

الله، الله، المقولة دي ممكن تغيير أخلاق الناس تمامًا.

أستاذ عباس: مش بقلك! انشر الحب والأمل يجيلك من نفس

الأفكار، قانون الجذب بيقول كده.

محمد أمين: بتقول إيه يا عمي عباس، قانون إيه! الجذب!

عباس: أيوه يا بني، في كتب كتير اتكلمت عنه، فكرني لما تخلص الكتاب ده، أديك كتاب تاني اسمه "السر"، وده كتاب جميل بيتكلم عن قانون قوة الجذب، وإنها هي السر في الحصول على كل ما تريده.

محمد أمين: اشرحه ليَّ كده يا عمي عباس.

عباس: بعدين أبقى أشرحه ليك بالتفصيل، دلوقتي، يا دوب تلحق شغلك؛ إحنا قاعدين، إنما أنت شغلك حساس، وكتر خيرك يا بني؛ مضغوط طول الوقت، ربنا يكون في عونك.

محمد أمين: لسه فاضل ساعة على الشغل، فهمني يعني إيه قانون الجذب ده يا عمي عباس!

عباس: قانون الجذب ده يا بني بيأكد أن أفكارنا بتتولد من نفس النوع، يعني لو فكرت في أفكار إيجابية، بتتولد أفكار إيجابية من نفس نوعها، زي مثلًا إنك تخلي علاقتك بمرأتك حلوة، لو فكرت في كده، المخ هيفضل يبحث عن كل فكرة تساعدك إن علاقتك بمرأتك تكون كويسة، وبمجرد إنك تتضايق منها، وتحس إنك مخنوق، يفضل يدعمك بأفكار من نفس النوع، مثلًا يفكرك بمواقف وحشة عملتها معاك، أو بحبيبتك القديمة اللي كان نفسك تتجوزها ومحصلش نصيب، يفضل

يجيب لك كل فكرة تدعم زعلك بيها، المخ يا بني عامل زي الكمبيوتر، بس على كبير جدًا؛ مجرد ما تفكر في حاجة يدعمها على طول.

يُقال إن المخ فيه المليارات من الخلايا العصبية، ويُقال إنها ١٢٠ مليار خلية عصبية، بتستقبل ٢ مليون معلومة في الثانية الواحدة، ٨٠ ٪ منهم أفكار سلبية، ٢٠ ٪ بس أفكار إيجابية، علشان كده، كن حريصًا إنك تهتم بأفكارك الإيجابية طول الوقت وتدعمها، وكل ما تجي ليك فكرة سلبية، استعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وفكر على طول في فكرة إيجابية؛ علشان تفضل على طول متفائل.

محمد أمين: شكرًا يا عمي عباس، دلوقتي، أنا عرفت ليه سموك عباس تفاؤل! ربنا يصلح حالك، ووالله، أنا بحبك أكتر من ملايين الناس.

محمد أمين: ها، كام ثمنه بقى الكتاب ده يا أستاذ عباس؟

أستاذ عباس: ثمنه الكلمتين الحلوين اللي سمعتهم منك، والضحكة الحلوة اللي على وشك؛ مش كل حاجة بالفلوس يا فنان!

محمد أمين: ماشي يا برنس الكتب، ده لقبك من هنا ورايح.

***

أصل الباشمهندس بيعرف يرسم، ويكتب روايات ومواقف

كوميدية، اللي يشوفه من الوهلة الأولي يعرف ده؛ لأنه دائمًا بيقعد على القهوة ومعاه لوحاته، مشمر القميص، ويحك في نصف الصلعة، ويقول: الحمد لله إن الصلعة دي موجودة؛ إدَّت لشكلي حلاوة ملهاش مثيل! فالناس اللي في القهوة كلهم يضحكوا على كلامه، ودمه الخفيف بالرغم إن جسده بنيته ما شاء الله قوية؛ لأنه رياضي، إلّا إن دمه الخفيف لامع أكثر!

أستاذ خالد صاحب العيون الخضراء، والجسد المتوازن القامة، ينادي على أستاذ عباس: يا أستاذ عباس، أنا رايح أجيب فطار، أعمل حسابك معايا؟

أستاذ عباس: يا ريت!

خالد: من عند عمي حسين بتاع الفول، تمام؟

أستاذ عباس: أيوة، تمام.

(٢)

كل مشكلة مشروع.

"علي أدهم" وصديقه "بربري صالح" الذي يعشق الحديث عن السياسة، كانوا جالسين بيفطروا "فول وبيض" من عربة الحاج حسين.

بربري: إيه رأيك يا علي في اللي بيحصل؟ تفتكر فعلًا ممكن تقوم الحرب العالمية الثالثة؟

علي: والله شكلك هتودينا في داهية؛ مش ناوي ترتاح غير لما تحبسنا! يا حبيبي، ما لنا ومال السياسة!

بربري: يا حبيبي، السياسة حياة، اسمها الحياة السياسية، زيها زي الحياة الثقافية، والحياة الاجتماعية، والحياة الاقتصادية، الحياة السياسة بتشكل حياة صغيرة من الحياة الكبيرة اللي عايشينها يا صديقي، وإحنا كده كده لازم نتأثر بيها، رضينا أو مرضيناش.

علي: الله يعمر بيت أبوك، سد بوزك اللي هيودينا في داهية ده! بقلك أنت مش هترتاح غير لما تحبسنا يا واد، خشمك بيأكّلك، لسانك مش مبطل لوك لوك طول الوقت! إذا كان ولا بد، خليك في الفن، خليك في الرياضة يا أخي!

بربري بضحكات متواصلة: معزور يا صاحبي؛ أصلك ما شوفتش التقدم وصل لحد فين!

جات قطة تلعب في رجلين علي.

علي: بس، امشي غوري هتجبيلنا المرض والعيه! مبكرهش حد غيركم؛ قرفتوني في حياتي، وكرهتوني في نفسي!

بربري: ليه بس يا علي، إيه اللي حصل؟

علي: والله يا صاحبي، أنا درست ريادة أعمال، وأخدت فيها دورات كتير جدًا لحد ما بقيت أبتكر مشاريع وأنا نايم، وفي مرة البيت عندنا اتملى فئران، وطبعًا، الحل كان في القطط، فربنا رزقنا بكام قطة ولدوا عندنا في البيت، وشوية قطط يواد يا بربري ما شاء الله! كأنهم مُدربين في السيرك!

المهم يا خويا، جاتني فكرة إني أصنع لهم ملابس؛ لأني لقيتهم بيبردوا في الشتاء، وصعبوا جدًا عليَّ.

بربري بضحكات متتالية: بتتكلم بجد! تعمل ملابس للقطط! شكلك اتلحست في مخك!

علي: وه، وه يا بربري، بتضحك عليَّ! طب والله، أقوم وأسيب ليك الفطار، مضايقنيش!

بربري وهو يضع كف يده على بوقه؛ علشان يكتم الضحكة: لا

خلاص يا حبيبي، كمل كمل، مش هضحك.

علي: الفكرة جاتني بعد ما ولدت قطة حلوة عندي في دولابي في الشتاء، وبصراحة الموقف ده فجأني، ولما خرجتها من الدولاب بقت تتنفض من البرد، وصغارها ينونوا كأنهم بيصرخوا من البرد.

بربري: جميل، طب إيه اللى معقدك منهم؟

علي: المهم يا سيدي، فجأة الواد تعب ودا لسه يدوب ٤ أشهر، وديته للدكتورة، طلع عنده حساسية، تفتكر من إيه؟

بربري يرد براحة، وكأنه عرف الخبر قبل ما يتقال: من إيه يا ترى؟

علي: من القطط، أيوة، والله زي ما بقولك، حساسية من القطط في الجيوب الأنفية، حاجة تقريبًا مش بتحصل باستمرار جات لولدي أنا! سبحان الله! الفقر له ناسه، ولو هربوا منه، يجيلهم البيت، ويعمر ترباسه!

بربري يدخل في نوبة ضحك أخرى، حتى تدمع عيناه من شدة الضحك، ويحمر وجهه، وبعدين يهدأ شوية، ويتكلم براحة: مش يمكن يا صديقي دي رسالة مقصودة؛ علشان تفكر في حل! يعني تشغل دماغك وتبتكر أكثر! وده علشان لما تواجهك تحديات في مشروعك، تعرف هتقابلها إزاي، وكيف تحلها بمرونة؟ وبعدين أنت ترجمتها ليه على إنها رسالة ربنا بيقولك فيها استوب وكفاية على كده! يعني كل

تحدي يقابلنا نهرب منه، ونقول رسالة من ربنا إننا نقف! أكيد لا، كبر دماغك يا صديقي شوية، واعرف إن كل تحدي أو مشكلة هي رزق.

***

علي: رزق! رزق إزاي يا فالح! المشكلات رزق! التعب والشقى رزق! الهم والقرف رزق! شكلها هربانة منك النهار ده!

بربري بابتسامة: أيوه رزق، لو أنك عرفت مثلًا إيه الأسباب اللي خلت المرض دا يجي من القطط لابنك، وبحثت عن حلول للوقاية والعلاج منه، مش بس كنت هتكمل مشروعك، لكن، كمان ممكن كنت دخلت موسوعة چينيس، أو أخذت جائزة تقديرية، أو عملت مشروع تاني للوقاية من الأمراض اللي ممكن تنتقل من القطط للبني آدمين، وده؛ لأنك من أوائل الناس اللي يجيلهم المرض النادر ده.

علي: طب إديني مثال عن مشروع تاني؛ بسبب المشكلة اللي حصلت، بما إن المشاكل كنز، وحلها مشاريع.

بربرى: حاضر.

علي: خلي بالك، الدكتورة قالت إن فرو القطط لما الطفل يمسكهم بإيده بيعمل الحساسية، فلازم يكونوا على بعد مترين منه؛ علشان الحساسية، دي مشكلة، ها، حولها لمشروع، يلا!

بربري: تمام، عندك المسافة المتحددة تعني إننا لازم نحدد مكان

نوضعهم فيه، وهنا، ممكن نصنع قفص جميل، وحجمه واسع، وتصميمه مختلف، وممكن ينطوي بسهولة، فيصغر حجمه، يعني ما يخدش حيز كبير، ويكون فيه حمام صغير مفروش بالرمل، كمان ممكن تصنع جوانتي طبي ناعم الملمس؛ علشان ما يحتكش بفرو القطط، وما ينقلش العدوى، والقطط بتحتاج للتعقيم والمتابعة الطبية، وكمان بيع القطط نفسها مشروع، وتدريب القطط على الحمام ده مشروع، وتقدر تعلم الناس اللي هتشتري منك ده مقابل مبلغ بسيط، وممكن تعمل ده أون لاين، مثلًا على الفيس أو اليوتيوب، بيكون مجانًا صحيح، لكن بعد فترة هتنزل لك إعلانات، وهتستفيد منها بفلوس كتيرة.

علي: بمناسبة بيع البِسس _والبسس بكسر الباء، وفتح السين تعنى القطط_، تعرف إن ولد عمى الدكتور جعفر اشترى بسة، وكان معاه تيليفون بيفتح ببصمة الوجه، قام مصور نفسه مع البسة في البصمة؛ علشان لما ينام، مراته متعرفش تفتح التيليفون بتاعه!

بربري: وحصل إيه بعد كده؟

علي: الغريبة إن البسة بعد يومين تعيش إنت، ومن ساعتها مش قادر يفتح التيليفون بتاعه!

بربري بضحك: مش بقولك أنت مشكلة، هي حبكت معاه يصورها بالبصمة! تعرف لو طبع الصورة دي، حتى لو ماتت البسة، فأول ما يوجه كاميرا التيليفون على الصورة، هيفتح، لكن ما ينفعش

يصورها صورة طارئة كده وخلاص!

***

شارك أستاذ خالد في الحوار الذي كان يسمعه منذ بدايته موجهًا كلامه لأستاذ بربري: طب تفتكر يا أستاذ بربري بما إنك مؤمن بإن لكل مشكلة حل، إيه الحل لمشكلة القطط والكلاب الضالة في مصر؟ ومتقوليش نطعمهم، ونهتم بهم، وحالتهم المزاجية، والكلام بتاع الناس اللي عندها برستيج عالي دول؛ إحنا عندنا ناس كتير أولى بالمساعدة.

رد أستاذ بربري: يا سيدي، القطط والكلاب الضالة دول كائنات حية، وسبحان الله، ربنا جعل السلسلة الغذائية، وقدر كل شيء منذ خلقه، يعني في كلاب يبقى في بقايا أكل، وفي قطط يبقى في فئران، وفي فئران يبقى في خضرة تتغذي عليها، وفرصة لإجراء تجارب معملية عليها، وكمان هيكون في ثعابين تتغذى عليها، والحل: نصدر كل دول.

أستاذ خالد: بتقول إيه! نصدر! غريبة دي!

بربري: ولا غريبة ولا حاجة، لكل حاجة من دول منفعة، وبره مصر في مؤسسات؛ لخدمة الكائنات دي، وإحنا بالنسبة لينا قليل اللي بيهتم بالكلام ده؛ بسبب الوضع الاقتصادي الصعب، يبقي نستثمرهم اقتصاديًا، ونصدر.

علي: مش بقولك دماغك دي سم، وريني أما أبوسها!

يقبِّل علي دماغ أستاذ بربري، ويغادر أستاذ خالد مبتسماً: مع السلامة، وشكرًا للإفادة.

***

يوصل أستاذ خالد المكتبة: اتفضل يا عمي عباس، آدي الفطار.

عباس: فطار إيه بقا يا بني! إحنا بقينا الظهر، قول غدا أحسن!

معلش يا عمي عباس؛ أصلي كنت بسمع حوار جامد ومشوق.

رد أستاذ عباس: خير، احكيلي.

أستاذ خالد: أقولك إيه بس! اسمع يا سيدي، أنا هقول ليك أكتر حتة عجبتني، مع إن الحوار كله حلو، لكن اللي عجبني فيه كلام أستاذ بربري عن المشكلات.

أستاذ عباس: قال إيه بقي؟

خالد: قال إن المشكلات رزق، ولكل مشكلة حل، بس إحنا نعرف أسبابها إيه، وكمان حلول المشكلات دي مشروعات، والكثير منها مشروعات مبتكرة، تصور!

أستاذ عباس: ده فكر ريادة الأعمال يا خالد يا بني: التجديد، والابتكار، والاستمرارية، يعني لما تقابلك مشكلة، تحلها بشكل مختلف، ومبتكر، وجديد، وكمان يكون مشروعك يستهدف الربح، الفكر الريادي فكر مختلف، وخارج الصندوق.

خالد: فعلا يا عمي عباس، كلامك مضبوط، لكن، تفتكر ممكن نحل إزاي مشكلة زي مشكلة "القمامة؟

عباس: الحل يا بني في إعادة التدوير.

خالد: إعادة التدوير إزاي! ما هي شغالة من زمان، وبرده القمامة في كل مكان عمالة تزيد، ده حتى عمال النظافة مش ملاحقين يكنسوا ورق الشجر اللي مالي الشوارع، وعمال يطير مع الهوى، وممكن يتسبب في حوادث! تفتكر ورق الشجر ده نعمل فيه إيه؟ نولع فيه زي قش الرز، ولّا ناكله! ده حتى مش هنعرف ناكله؛ لأنه ناشف!

رد أستاذ عباس: تحب نبتدي بإعادة التدوير، ولا ورق الشجر؟ أكلمك على أي واحد الأول؟ أنا شايف ورق الشجر، إيه رأيك أنت؟

خالد: زي ما تحب.

عباس: ورق الشجر يُطلق عليه اسم "دُبال"، وأنا في الثانوية أستاذ "كمال" مدرس الجيولوجيا، واللي كان مثقف جدًا _الله يديلو الصحة_ قالنا إنه ثروة ممكن يغذي النبات زي السماد كده؛ لأن فيه مكونات غذائية رهيبة، نستفيد من ده إننا ممكن نطحنه، ونعبيه في شوال بعد ما نخلطه ببعض أنواع السماد الأخرى، وممكن يتعمل علف للبهائم، ونخلطه ببعض النباتات الأخرى زي البرسيم والقلواح بتاع القصب، والعفش الناشف، وبواقي عصب السمسم والفول السوداني والملوخية، وغيرها، ونعمل خليط من العلف أو التبن للبهائم؛ من

أجل التسمين، وممكن لو زرعنا على جانبي الطريق أشجار زي السدر والكافور والجوافة، ونستثمر ورق هذه الأشجار؛ لأنه بيتباع كعلاج، يعني ممكن نصدره برده، وممكن نزرع أشجار مثمرة زي البرتقال، والعنب، والتفاح، والتوت، ونصدر الفاكهة والورق كمان، وعلى فكرة، ممكن من ورق زي ورق العنب، تغليفه وبيعه ده ثروة لوحده، وممكن كمان نزرع أشجار غير مكلفة ومطلوبة جدًا زي أشجار الحور، واللي بتستخدم في صناعة الأثاث، أو المورينجا، واللى لها استخدامات كثيرة.

خالد: الله عليك يا عمي عباس، باسم الله ما شاء الله! موسوعة، ربنا يحفظك.

كمل يا غالي، كمل، كلي آذان صاغية،

عباس: قول مصغية أحسن.

خالد: حاضر.

***

عباس: هكلمك عن إعادة التدوير، يمكن مصر فيها إعادة تدوير، لكن مش بشكل متكامل؛ ده يتطلب تكاتف من جانب الشعب كله بكل فئاته: المواطن العادي قبل المسؤل.

خالد: إزاي؟

عباس: ببساطة، المجالس المحلية تكتَّر من صناديق الزبالة،

وتصنفها: صندوق للبلاستيك، صندوق للزجاج، صندوق للورق العادي، صندوق للكارتون، صندوق لبقايا الطعام، وهكذا،. والمواطن عليه يرمي كل حاجة في المكان المناسب، حتى روث البهائم يتعمل له صناديق كبيرة بأدراج صغيرة، بتصميم معين؛ لتحويله لسماد عضوي، وكمان لما هيتم سفلتت الطرق الداخلية، المزارعين لا بد إنهم يهتموا بنظافة الشارع، زي أيام زمان لما كان صاحب الحنتور يعلق شكارة صغيرة في ذيل الحصان؛ علشان الروث بتاعه ما يبهدلش الشارع.

خالد: الله عليك، فعلًا كنت أشوف الكلام ده في أفلام زمان، الواحد حاطط كيس للحصان أو الحمار تحت ذيله.

عباس: مش بس كده، دول كانوا يحطوا كيس في العربية الكارو والكارتة؛ علشان يخلوا فيه الزبالة بتاعتهم بدل ما يرموها في الأرض، فإحنا ممكن كمان نصدر الزبالة دي، أو نتعاقد مع الأهالي والمصانع اللي شغالة فيها بفلوس، مقابل إنهم ياخدوا الخامات مفروزة وجاهزة، وممكن نعمل مكن زي ما ألمانيا عملت مكن تحط فيه الزجاج مثلًا، وتاخد فلوس حسب الكمية، وإحنا في مصر الزجاج مقابل كروت شحن، ممكن نكرر العملية دي بشكل مبسط ومختلف، نخلي موظف عند كل مجمع، ويتم التعاقد مع المصانع والعاملين في المجال بمبالغ مالية بسيطة، يبقى نظافة، وتشغيل، ومكسب.

خالد: فكرة جبارة يا أستاذ عباس؛ هتوفر على البلد كتير جدًا، تعرف

إن كانزات الكولا الفارغة ممكن تتسيح ع النار بطريقة معينة، ويتصنع منها أدوات زي الحلة وبراد الشاي، والله زي ما بقلك، شوفت فيديو على الفيس بوك بيتم تسيحها، وتصنيع براد الشاي والحلة الألومنيوم.

رمزي: فعلًا، زمان وأنا في المدرسة طلعنا رحلة لجامعة جنوب الوادي، كان في مصنع أكياس بيخلط أكياس القمامة المتنوعة في المفرمة، ويعيد تسيحها على مكن، ويطلع منها كيس القمامة الأسود بأحجام مختلفة.

عباس: الشغل كتير، والمشروعات كتيرة جدًا يا ولاد، بس اللي يشتغل وينتج ويساهم في إن اقتصاد بلده يزيد، أنا مش عارف ليه الشباب محبط دايمًا، وحاسس إنه ملهوش فرصة!

خالد: هو فعلًا كده يا أستاذ عباس، تحس إننا لو عملنا مشروع أسهل من إننا نشتغل بتخصصنا، وكأن الشغل بالتخصص عيب؛ تلاقي المهندس شغال مدرس، والمدرس شغال عامل، والفني بيقوم بدور مهندس، والمحامي موظف أو سمسار، والسمسار بيقوم بدور محامي، الشغل كتير صحيح، لكن الشغل بالتخصص هو اللي مش كتير، وفرصة الحصول عليه صعبة، كمان إنك تعمل مشروع شيء كويس، لكن بياخد وقت لحد ما تنجح، وفي الوقت ده لو صاحب المشروع متزوج، بيكون محتاج إنه يسد احتياجاته الأساسية، وده بيتطلب مرتب شهري ممكن ما يكنش معاه، أو يقدر يوفره من مشروعه في البداية،



خصوصًا لو البداية بسيطة، وده بيجعل البنى آدم مضغوط؛ لا هو قادر يبدأ مشروعه الخاص، ولا قادر يكمل في الوظيفة العادية، واللى مش مكفية احتياجاته واحتياجات أسرته المتزايدة!

(٣)

مش لاقي شغل مناسب!

المارة يتجمعون على صوت صويت أم محروس، فيجري أستاذ عباس بعدما سمع صوت أم محروس: خير! إيه اللي حصل يا أم محروس؟ بتصوتي ليه؟

أم محروس: أنا زهقت يا أستاذ عباس من محروس وعمايله؛ ليه فترة كبيرة سايب شغله، وقاعد على القهوة طول النهار، ويجي يقلي: هاتي يا أمي مصاريف القهوة، وسايب شغله اللي كان فيه صنايعي قد الدنيا، ومكفيني أنا وأخواته بعد ما أبوه مات!

تتصور دلوقتي بقوله: يا ولدي، سيبك من القهوة، وشوف شغلك، قام منشك ليا بإيده، ومشي، ملقتش حل غير إني أصوت، وأطلع القهر اللي جوايا، الواد عقدني يا أستاذ عباس!

عباس: طب سيبيهولي، وأول ما يجي، قوليلوا: عمك عباس عاوزك ضروري عند المكتبة.

***

محروس: خير يا عمي عباس، أمي قالت إنك عاوزني؟

عباس: أيوة يا بني، احكيلي، إيه اللي مزعلك في موضوع الشغل؟

محروس: اللي مزعلني يا عمي عباس إني راضي ومبسوط بأي شغلانة، لكن اللي حواليا واللي يعرفوني هما اللي مش راضيين، ومش عاجبهم الوضع، ومصممين كمان يقنعوني برأيهم، مش عارف ليه!

عباس: ليه يا بني؟ إزاي يعني؟

محروس: كل ما أشتغل شغلانة، ألاقي حد من معارفي يقول: برده أنت تشتغل الشغلانة دي! يا راجل شوف شغلانة تناسبك! وأنا أفضل أفكر: يا تري إيه الشغلانة اللي تناسبني؟

عارف يا عمي عباس، أنا بشتغل من وأنا في إعدادي لحد دلوقتي وأنا في الدكتوراه، وبرده مش عاجب الخلق! ليه! مش عارف!

عباس: يا بني، الناس مش بيعجبهم العجب، سيبك من الناس، طالما شغل حلال وبيكفي احتياجاتك الأساسية خلاص، وهو أحسن من إنك تفضل عاطل، وقاعدع القهوة!

محروس: أنا قلت زيك كده يا عمي عباس، وآديك شايف، ابتديت تباع مع أبويا الله يرحمه على الميكروباص من وأنا في اعدادي، وبعدين انتقلت أزرع الأرض مع عمي في القرية عندنا، وشوية أشتغل عامل في الزراعات اللي جنبنا، ولما كبرت شوية وروحت ثانوي، كنت أشتغل

في الغردقة في الإجازات، اشتغلت في كل أنواع العمالة، وعمري ما استكبرت ولا شوفت نفسي، ولما خلصت بكالوريوس اشتغلت في السياحة، وقلت أكمل ماجستير، واتجوزت كمان؛ علشان أعف نفسي، وما أقعش في الحرام.

عباس: كل ده جميل يا بني، ومحدش فينا يقدر ينكر إنك شخص بتعافر، الله يحميك.

محروس: المشكلة يا عمي عباس إني مش بحب الشغلانة الثابتة، وبحب أكون حر نفسي، لكن علشان أوصل لكده، وأعمل مشروع وينجح، لازم أشتغل فترة موظف، وأوفر من مصروفي ١٠٪ على الأقل، لكن قابلتني مشكلة تانية، وهي إن الدراسات العليا بتمنع إني أشتغل في وظيفة ثابتة؛ وده لأن في محاضرات كل أسبوع بسافر أسوان علشانها، وسمنارات علمية، ده غير كمان حضور مناقشات ماجستير ودكتوراه؛ علشان أتعلم منها، وده كله يمنع إني أكون في شغلانة ثابتة، بالمختصر المفيد: مفيش صاحب شغلانة هيشغلني ٣ أيام في الأسبوع!

عباس: فعلاً، الأمر صعب إنك تشتغل في وظيفة ثابتة.

محروس: علشان كده كنت أشتغل عامل في فترة الأجازة، وكمان كنت أطلع يومين ولّا حاجة كل أسبوع ورا بنَّاء، أناوله طوب ومونة؛ علشان أوفر مصاريف بيتي وسفري، وكمان كنت بساعد عمى في الأرض، وهو كان بيساعدني لما أتزنق في فلوس.

عباس: أمال والدتك زعلانة منك ليه؟

محروس: أصلي من يوم ما نقلنا هنا وسبنا القرية، وأنا خلصت ماجستير، كل ما أشتغل شغلانة، بصراحة الناس في الشغل يتريقوا عليَّ: واخد ماجستير، وجاي تشتغل عامل! قلت أتعلم صنعة، وأشتغل كهربائي، وهي صنعة حرة برده.

عباس: جميل، طب وإيه المشكلة! ده كويس جدًا!

محروس: لا، مش كويس.

عباس: ليه بس؟

محروس: أصلي بعد ما خلصت الماجستير على طول، أساتذتي كلموني، وطلبوا إني أكمل دكتوراه، وإن سني صغير، ودي فرصة، فصليت استخارة، وكملت، وأنا في التمهيدي أحد أساتذتي بيسأل: كل واحد شغال إيه؟

تصور أول ما قلتله إني شغال كهربائي، كل زملائي ضحكوا عليَّ، والمصيبة لما سألت أحد الناس اللي كانوا بيضحكوا بشدة: وحضرتك شغال إيه؟ قال: مشرف تدريب بأحد المعاهد العليا.

ودي شغلانة تطوع، ومكافئتها حوالي ٥٠٠ جنيه في السنة يا أستاذ عباس، وأنا باخد حوالي ٣ آلاف في الشهر، وهو اللي بيضحك عليَّ، تفتكر ده مش شيء يحزِّن!

أستاذ عباس: فعلًا يا بني، وأنت اتصرفت إزاي؟

محروس: هعمل إيه يعني! بعد ما لقيت رد فعل الكل وحش بما فيهم أستاذي اللي المفروض يساعدني بدعمه، أنا كان ممكن مكملش دكتوراه، وأشتغل في وظيفة بـــ ١٠٠٠ جنيه عادي، لكن طموحي كبير، نفسي أعمل حاجة كبيرة لبلدي، وعلشان ده يحصل، لازم أتعب وأجاهد وأقدم نموذج عملي كل الناس لما تشوفه تقول: الله! لكن كلام زمايلي وسلوكهم السلبي أثر عليَّ، وآديني ليَّ حوالي شهر قاعد على القهوة باللبس النظيف، واللي يقابلني يقول: إزيك يا دكتور؟ وشايفنّي وزير، وأنا ماشية معايا بالستر!

هو يا عمي عباس الدكتور ولا المثقف حرام إنه يشتغل مهنة بسيطة! طب نقعد كده ما نشتغلش لا عمال ولا صنايعية! دا يريح الخلق!

عباس: لا يا ولدي، مش كده، هوّن على نفسك، الشغل مش عيب يا محروس، اشتغل أي حاجة، وأنت بتشتغل خلي في بالك إن دي فترة وهتعدي، وإنك لازم توفر قرشين على جنب كل شهر زي ما كان ده هدفك، وتعمل مشروعك الخاص بفكرك أنت، ولحظتها كل الناس اللي كانت بتنتقدك، هتيجي تستشيرك في أمور حياتها، لحظتها أبقى افتكر عمك عباس.

***

محروس: حاضر يا عمي عباس، وربنا يقدرنا على الدكتوراه،

وصعوباتها اللي مش بتخلص.

تعرف يا عمي عباس، أنا في الماجستير حصلت معايا عقبات تمنع أي حد إنه يكمل! عندك استعداد تسمع جزء من العقبات دي؟

عباس: اتفضل يا بني، شكلك معبِّي يا محروس!

محروس: جدًا يا عمي عباس!

تعرف! أنا كنت بطبق الجزء الميداني في مدرسة حكومية، ويا دوب في أول الدراسة رايح أعمل استطلاع بسيط؛ علشان أشوف عدد التلاميذ اللي ممكن أجري عليهم الدراسة؛ لأن لهم صفات خاصة عن باقي التلاميذ، قامت المدرسة طلبت موافقة الإدارة، والإدارة طلبت موافقة المديرية، والمديرية طلبت جواب من الكلية، ولما جبت الخطاب من الكلية مُوجَّه للمديرية، قاموا طلبوا موافقة التعبئة العامة والإحصاء بالقاهرة، أنا قلتلهم: يا جماعة، أنا لسه يا دوب بحدد الموضوع، وعاوز أشوف العينة متوفرة ولَّا لأ، وبيان بأعداد التلاميذ، وكده، رأسهم وألف سيف إلا إني أجيب موافقة من التعبئة العامة والإحصاء، قمت واخد خطاب من الكلية ومسافر على القاهرة للتعبئة العامة والإحصاء، وهناك حصلت مفاجأة!

أستاذ عباس: حصل إيه يا بني بعد كل دا؟

محروس: أكدوا إن ما ينفعش يدوني موافقة كده وخلاص، وإن

موافقة التعبئة والإحصاء بتكون في الجزء الميداني للدراسة، وبيتوجه للمديرية؛ علشان تسمحلك بالتطبيق داخل المدارس.

أستاذ عباس: تمام، كده كلامهم معقول برده.

محروس: لكن لما رجعت تاني للمديرية المسؤول رفض، وصمم إني أجيب له خطاب من التعبئة العامة والإحصاء، أحاول أفهمه، يا أستاذنا: أنا يا دوب حابب أعرف شوية معلومات عن التلاميذ، والعينة متوفرة ولَّا لأ شفهي، ويدوني هما إحصائية بأعداد التلاميذ؛ علشان أضيفها في خطة البحث اللي هقدمها في السمنار العلمي في الكلية، ودي اسمها دراسة تقدير موقف، يعني لسه بدرى على موضوع التطبيق، لكن لا حياة لمن تنادي! للأسف فاهمين القانون واللوائح غلط، وبالتالي بيطبقوها على حسب فهمهم.

أستاذ عباس: طب واتصرفت إزاي؟

محروس: اضطريت إني أعمل دراسة تقدير الموقف، وكأنها دراسة كاملة، وصممت لها استبيان وعملت كل الخطوات، وده بعد ما عميد الكلية اتعصب عليَّ؛ لأنه شايف إني أختم كل ورقة من استبيان، وكمان دراسة تقدير موقف، ده كلام ملهوش لازمة وتعقيد، ورفض يمضيلي، وقال بالنص: روح يا بني، اعملها بشكل ودي، وظبطهم في المدرسة.

وأنا من مبدئي معملش كده، وأحب أمشي رسمي، فلجأت للوكيل اللي مضت لي، ورحت لهم تاني في القاهرة.

هناك بقى ظهرت مشكلة تاني، وإني هطبق في أربع محافظات، وكل محافظة شرطت مقدمًا إني أجيب أصل جواب الموافقة، فقلت الكلام ده للناس اللي في جهاز التنظيم والإدارة، وللأسف رفضوا، وأكدوا إن مفيش الكلام ده؛ هو جواب واحد، وأنا أصوره، وأدي منه نسخة لكل مديرية من التلات مديريات، وأسلم الأصل لواحدة منهم، أو أديلهم كلهم نسخ، وأحتفظ بالأصل.

الغريبة يا عمي عباس إني لما رجعت للمديريات، وشرحتلهم الموقف ده، رفضوا برده، وأكدوا إن لازم الجواب الأصل، تفتكر أعمل ايه في الموقف دا؟

عباس: عملت إيه؟

محروس: اضطريت إني أصور الجواب أربع نسخ ألوان، وأقدم لكل جهة نسخة على أنها الأصل، والغريبة وأنا بسألهم يا عمي عباس: يعني لازم الأصل! ما ينفعش صورة!

هنا أنا قاصد أأكد الكلام اللي سمعته قبل كده، فيقولولي: لا، لازم الأصل.

فأديلهم الصورة الملونة، وأنا بضحك في نفسي، وأقول: سبحان الله على قلة الوعي اللي مدمرانا!



يتنهد الأستاذ عباس، وياخد نفس كبير، ثم يخرجه ببطء: ياه! كل ده يا محروس يا بني! بس اسمع: إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وأنت أكيد استفدت من دراستك دي على المستوى الشخصي، واضح إنها قوة تفكيرك وقدرتك على التحليل والإبداع في حلول المشاكل.

أنا عجبني جدًا طريقة تفكيرك، أنت صح يا محروس، مش لازم إني أشتغل بتخصصي، الأهم إني أكون عارف إزاى أوظف تخصصي والمهارات اللى اتعلمتها في الواقع.

الاستفادة من الدراسة نوعين يا بني: نوع في الفهم، وطريقة التفكير، وزيادة الوعي، والتثقيف، وحب القراءة.

والغاية الثانية إنك تطبق اللي اتعلمته في الشغل على وظيفتك، وإن لم تستطع فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، طبَّق يا بني اللي اتعلمته من مهارات على نفسك، واشتغل أي مهنة، ووفر زي ما كنت بتقول ١٠٪ من دخلك، وبعد فترة هتلاقي معاك حق مشروع، ابتدي على صغير بجانب شغلك وفي وقت فراغك لحد ما تقف على رجليك ومشروعك ينجح، لحظتها هتقدر تعتمد على مشروعك بشكل كامل، وتسيب الوظيفة، وأنت مطمن.

اتحمس محروس جدًا من كلام أستاذ عباس، وشعر بحماس وثقة خلته يشعر بالفخر، وإنه كان على الطريق الصحيح، وإنه لازم يترك كلام الناس السلبي، ويبتدي يشتغل أي حاجة، المهم إنه يشتغل، وينتج

حتى لو إنتاجه صغير، المهم إنه ينتج، ينتج لحد ما يعمل مشروعه، ويشعر بالاستقلالية.

فعلًا، ليه لأ!

وهو عنده كل المقومات لكده: شاب طموح ، ذكي، مثقف، وعنده إرادة قوية كمان توصله لده.

نصحه أستاذ عباس، وقاله: قوم يا بني، روح صالح والدتك بكلمتين حلوين يا محروس، دي الأم يا بني، رضاها له مكانة كبيرة عند ربنا، وطاعتها واجبة، خصوصًا لما تأمرك بحاجة خير.

محروس: عندك حق.

عباس: تعرف يا محروس، أنا سمعت عن واحد كان شغال نقاش لفترة كبيرة بعد ما اتمرمط زي حلاتك، وده لأنه كان بيدرس دكتوراه لغة عربية، وبعدين قرر إنه يشتغل مهنة حرة زي ما قلت أنت بالضبط؛ علشان يوفر وقت مناسب للدراسة، وفي نفس الوقت يكون معاه دخل، وفي ناس كتير أحبطته، وكانوا يقولوله: إنت إيه لازمة اللي بتعمله!

كان له رد واحد: أنا كده كده شغال، وبحاول أرتقي بنفسي بالتعليم، وفي نفس الوقت دي فرصة لو جات أبقى كسبت، ولو مجتش أنا مخسرتش؛ لأن التعليم غذاء للروح.

وفعلًا، بعد فترة كان خلص الدكتوراه، ونزلت مسابقة في الجامعة

قسم اللغة العربية، وقدم فيها، وأخدوه، سبحان الله!

ودلوقتي، هو دكتور في الجامعة، ومحبوب من كل أهله، وبيفتخروا به، وكل اللي كان بينتقده أصبح يشجعه.

محروس: تعرف يا أستاذ عباس، أنا نفسي يكون في مادة يتم تدريسها في كل الكليات عن بناء المشاريع الريادية في مجال الدراسة.

عباس: تقصد إزاي كل كلية توظف ريادة الأعمال وبناء المشاريع في تخصصها؟

محروس: أيوة يا عمي عباس، كل كلية تدرس للطلبة إزاي يعملوا مشاريع ريادية في مجال تخصصهم، ويقدموا منتج حقيقي للعالم كله مش بس لمصر، وبكده نساهم في التخفيف من البطالة.

عباس: فعلًا يا محروس، كمان لو في تشبيك وتعاون مع البنوك، الشباب يتأهلوا نظري، والبنوك تديهم تمويل، وبكده يقدروا يبتدوا مشاريع تتناسب مع تخصصاتهم المختلفة.

محروس: هو ده اللي أقصده، وبكده كل واحد يشتغل عمل حر، وفى نفس الوقت بمجال تخصصه، وكمان ممكن يصدر منتجه برا مصر وهو في مكانه.

عباس: ربنا يحميك يا بني، قوم يلا صالح والدتك.

اتحمس محروس أكتر لما سمع كلام أستاذ عباس المشجع، وراح



صالح والدته، وجبلها علبة بسبوسة من اللي بتحبها، وباس على إيدها، وقال لها: من بكرة هطلع الشغل يا ست الكل، متزعليش نفسك.

(٤)

من أجل علاقات مثمرة.

صباح اليوم التالي، المهندس محمد أمين جالس على قهوة الحاج عويس، يشرب شاي الصباح، ويرسم اسكتش القهوة كعادته، يمر أستاذ عباس: صباح السعادة يا فنان.

أهلًا يا عمي عباس، تعالَ اشرب الشاي، وخد كتابك اللي مليش فيه نصيب!

أستاذ عباس: ليه يا فنان بس!

محمد أمين: يا عم، إمبارح المدام بقلها: والله، أنا بحبك أكثر من ملايين الناس اللي في العالم.

قامت ردت عليا، وقالت بصوت ردح: نعم! نَعععمْ! ملايين الناس!

قلتلها: يا حبيبتي، أقصد ملايين الستات.

قامت قايلة: وكمان ستات! وقعتك مهببة!

عباس بابتسامة هادئة: أكيد سوء تفاهم يا هندسة.

محمد أمين: أيوة، وأي سوء تفاهم! دي رأسها وألف سيف إني

بخونها مع ملايين الحريم اللي في الكون، أحايل فيها: يا بنت الناس، أنا مقصدش، والله غرضي شريف!

وهي تقول: والله، ما أنا سيباك النهار ده إلا لما أعرف حكايتك إيه!

بس يا سيدي، وفين لما قلتلها: أنا قريت الكلام ده، وعجبني، فقلت أقولوا ليكِ.

وده الحوار اللي دار بينا:

مدام المهندس محمد: وريني الكتاب ده!

محمد: اتفضلي أهو.

المدام: الكتاب دا توديه مطرح ما جبته يا محمد، لا أحسن مش هيحصل طيب.

وبنظرة دقيقة قالت: ملايين الستات قال! هيا ناقصاك أنت كمان! مش كفاية عيالك مطلعين عين اللي خلفوني!

أستاذ عباس: أنت كده يا بطل محتاج كتاب "الرجال من المريخ، والنساء من الزهرة".

محمد أمين: قلي ملخص الكتاب ده يا عمي عباس.

بص يا سيدي، ملخص الكتاب ده إن النساء والرجال يختلفون عن بعض تمامًا، وكأن كل واحد فيهم من كوكب تاني، لكل واحد

من الاتنين طباع مختلفة، لو كل واحد فهم التاني هيرتاح ويريحه، يعني مثلًا الستات بيحبوا ويعشقوا موت الكلام عن المشكلات وتفاصيلها، لكن ميحبوش تكلمهم في حلول على طول، يحبوا إنك تعيش معاهم مشاكلهم، وتحس وتشعر بيهم وبكل تفاصيلهم، وتقول: إمممم، فعلًا، وتتأثر أوي، لكن الرجالة يحبوا يفكروا في حلول، ولأن عقليتهم غالبًا بتهتم بتقديم الحلول، والراجل بيلعب دور حلال المشاكل مع المرأة، تلاقي الحريم بتطفش وتمل من البيوت، هي عاوزاه مستمع مش خبير استراتيجي.

مهندس محمد: يا سلام على الروعة والجمال، عباس تفاؤل بصحيح!

إلحقني بالكتاب ده أبوس إيد اللي خلفوك، لا أحسن أنا طالع عين أمي في البيت مع بنت الذين ءامنوا دي، مش عاجبها العجب! وأنا أقول ليه كل ما أقولها حل لمشكلة، ترد وتقلي: أنت مش فالح غير في تقديم الحلول، روح يا شيخ اشتغل دبلوماسي أحسن، هلاقيها منك ولّا من عيالك! دلوقتي فهمت، وهمومتها ضحك ودلع، شكرًا يا أستاذ التفاؤل كله.

***

"صابر" شاب بسيط، طويل القامة، ونحيف، ومعروف بأنه حاد المزاج، كان جالسًا بجوار المهندس "محمد"، وكان يستمع للحوار: طب يا أستاذ عباس، الفنان وحلتله مشكلته بكتاب، طب أنا مليش

في القراية، وأبويا مطلع عين اللي خلفوني، طول الوقت عمال يأنب فيَّ، والتعامل معاه صعب خالص، وأنا طول الوقت محتار ما بين إني آخد رضاه، ونفسيتي تتعب من كلامه اللي زي المدافع، أو إني أهج، وأسيبله البلد، وأخد غضبه، يا ترى عندك حل لمشكلتي؟

رد عليه أستاذ عباس: طب قلي، إيه أكبر مشكلة مسببة الزعل بينك وبينه؟

صابر: بص يا سيدي، هو طبعه عصبي جدًا، وكان موظف كبير، وأنا من بين كل أخواتي كنت ماسك كل أطيانه وبديرها، وكان هو وأخواته شُركاء مع بعض في كل حاجة، وأنا كان يطلع لي مرتب حلو معيشني أنا وأسرتي: المرة والخمس عيال _ويقصد بالمره زوجته_ الحمد لله، دلوقتي هو طلع معاش، وقسم الأرض وكل الأطيان مع أخواته، لكن الأملاك قلّت جدًا لما اتقسّمت، وأنا الوحيد اللي مش موظف من بين أخواتي كلهم، وأخواتي من مراته التانية صغيرين في السن، فهو حب يأمن مستقبلهم، قام واخد مكافأة نهاية الخدمة، واستلف على الأرض، وعمل بيت كبير ليهم، وأنا بقى يديني فلوس ربع اللي كنت باخدها مع شوية زعيق، وحبة شخط ونتر بتوع الجماعة البشوات مع العبيد! وأنا ما بين ضغط الشغل وقلة الفلوس، وكلامه ومعاملته الصعبة بضايق ونفسيتي بتتأثر؛ مهو أنا بني آدم برده يا عمي عباس! أقوله أفتح مشروع، يقول لأ، طب أروح أشتغل بره برده لأ، مصمم إني

أعيش معاه بدخلي البسيط ده! طب وعيالي؟ ذنبهم إيه في اللي بيحصل ده يا عمي عباس؟

تقدر تقولي أعمل إيه؟

أستاذ عباس: أنت عارف المشكلة فين يا صابر يا بني؟

المشكلة الحقيقية في التعامل، أقصد طريقة التعامل بتاعتك مع والدك، ده أنت اسمك صابر، خد من اسمك نصيب؛ ده الصبر من اسمه: مرٌّ مذاقه، لكن عواقبه أحلى من العسل!

صابر: يا عمي عباس، ده بيتخانق مع دبان وشه!

أستاذ عباس: متفهم إنه عصبي، بس يمكن هو مش شايف الأمور زي ما أنت شايفها، يمكن باصص لها من منظور تاني، ممكن يكون شايف إنك أنت الكبير، وعندك وعي، ولازم تساهم معاه في تربية أخواتك الصغيرين دول، يمكن شايفك عكازه؛ علشان كده بيتسند عليك جامد، ومتصور إنك عمرك ما تمل، حاول تغير طريقة تعاملك معاه وتفهمه الصورة كاملة، ساعده وما تسبهوش، وفي نفس الوقت فهِّمه إنك راضي ومبسوط من القاعدة معاه، وإنه أخيرًا فاضيلكم، فهّمه إنكم محتاجين تكبروا دخلكم وإنتاجكم؛ علشان العيال احتياجاتهم كتيرة، وإخواتك كمان محتاجين كتير، لما تتكلم معاه على نقطة الاحتياجات اللي زادت عليكم كلكم، هيبتدي يسمع، لحظتها كلّمه عن زيادة الدخل، وإنكم لازم تكبروا من نفسكم، كلّمه عن

مشروع زي مزرعة أغنام صغيرة تساعد معاكم في الدخل، أو تعملّه طاحونة؛ لأن المنطقة اللي أنتم فيها محتاجة لطاحونة الناس تطحن فيها الغلة وتحولها لدقيق، شوف البلد عندك إيه ناقص فيها، وابتدي تكلّمه عنه إنكم تعملوه، لحظتها هيستجيب.

صابر: تفتكر ممكن يفهمني؟

عباس: أكيد هيفهمك، بس أنت حاول وكرر المحاولة، لحظتها هيسمع، ولما يسمعك هيفهمك، بس أنت كمان غيّر من أسلوبك، وخليك هين لين في كلامك معاه، وكلمه على أساس إنك بتقترح، مش في دماغك كلام عاوز تمشيه وخلاص، حاول تتكلم بهدوء وبدون عصبية؛ علشان توصّل فكرتك صح.

***

زي ما الأستاذ عباس إنسان محب للخير والتطوير، كذلك شقيقه.

"حبيب" أخو أستاذ عباس، شاب يعشق الخلوة والتواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، يشعر بلذة كبيرة في التعرف على أناس جدد، ولكن لديه شروط: فهو لا يحب التعرف سوى على الناجحين والمتميزين في كافة المجالات، يسعى حبيب لمعرفة كل شيء عن قصة نجاحهم، ويرى أنه يستفيد من هذا كثيرًا على المستوى الشخصي، فرغم أنه لم يتجاوز الثلاثين عامًا إلا أنه يشعر أن لديه ستين عامًا من الخبرة، وهذا بفضل ما اكتسبه من علاقته بالناجحين في شتى المجالات.

حينما يختار حبيب أحدًا للتواصل، لا يختاره عبثًا، لكن يبحث عنه، ويقرأ له، حتى لو كان شخصية غير مشهورة، لكن بمجرد ما يشعر حبيب أن صاحب هذه الشخصية متميزًا _صغيرًا في السن أم كهلًا_، يهرول مسرعًا إلى التواصل معه؛ لمعرفة طرق وأساليب تعامله مع الأزمات والمشكلات، وعاداته الإيجابية، والتعرف على قصة نجاحه إن كان معلومًا أنه ناجح في اتجاه معين، كان يتمنى أن يجمع هذه الخبرات في كتاب، ويسميه "عادات الناجحين"؛ حيث نصحه بذلك شقيقه أستاذ عباس؛ حيث أن كل هذه التجارب كانت تفيد حبيب كثيرًا في تحسين مستوى تفكيره نحو الأفضل، لذلك؛ كان يريد نشرها للآخرين؛ فهو يؤمن بمثَل قرأه ذات مرة في إحدى كتالوجات التنمية البشرية: "إذا أعطيتني تفّاحة، وأعطيتك تفاحة، فالاستفادة صفر، بينما لو تبادلنا معلومتين: أعطيك معلومة، وتعطيني معلومة، كلٌّ منا سوف يمتلك معلومتين".

يرى حبيب أن التواصل مع الأشخاص الناجحين عبر مواقع التواصل له تأثير أكبر من التواصل في الواقع؛ لأن له طابعًا مختلفًا؛ فهو يتيح التواصل مع الناجحين حول العالم، فيوفر الوقت والجهد والتكلفة، كذلك فهو يعفي صاحبه من الحرج، ويعطيه مساحة أكبر من الحرية.

يقول حبيب: في منصات التواصل الاجتماعي قد لا يرى الشخصان

الناجحان صورة بعضهم البعض، ولا يتحدثون عن أصولهم، أو دينهم، أو عرقهم، أو تفاصيل حياتهم الدقيقة؛ ليسوا مهتمين بهذا، وإنما اهتمامهم الأكبر في الوصول للنجاح، وكيف يساعد بعضهم البعض، فهو يشعر أنهم زملاء رحلة النجاح، ولذلك؛ كان يحرص حبيب كثيرًا في فترته الأخيرة _خاصة_ إلى البعد عن أي تفاصيل خاصة عند تواصله مع أحد الناجحين إلا في إطار التعرف على العادات الإيجابية.

يروي حبيب معرفته بالطبيبة شيماء مديرة إحدى مجموعات البحث العلمي، والتي تعرّف عليها حينما طلب مساعدة مَن في المجموعة أكثر من مرة في خطوات بالبحث، وقامت هي بمساعدته في ذلك، فأخبرها أنه يحب التعرف على الناجحين والشباب المتحمس للنجاح، ويراها كذلك، فسعدت بكلامه، وأخبرته بالعديد من الخطوات المتعلقة بالبحث، حتى أنه كان يشتكي لها بعض مصاعب البحث العلمي؛ ظنًا منه أنّ لديها حلولًا أو ربما تجارب سابقة حتى لأشخاص آخرين؛ كل ذلك بهدف معرفة حلول واكتساب خبرات، لكن تفاجأ بأنها أيضًا تعاني من مشكلات كثيرة، وأن صعوبات البحث العلمي يمر بها الجميع، فنصحته أن يخصص ولو جزءًا قليلًا من وقته؛ لعمل كتاب يساعد الباحثين المبتدئين وقليلو الخبرة على تطوير مهاراتهم بالبحث العلمي.

بعدما أنجز حبيب كتابه، قرر أن ينشره لزملائه بالجروب مجانًا،

ورأى أن مساعدة زملائه أكبر مكسب.

لاقى كتابه إعجابًا كبيرًا، وقرر إنه يستمر في تقديم دورات في صورة فيديوهات مسجلة بسيطة، كل فترة ينزل فيديو لزملائه؛ علشان يستفيدوا به، وبالتالي يستثمروا وقتهم بطريقة أفضل، وفعلًا عمل كده، والفيديوهات بتاعته كانت بسيطة وسهلة جدًا، ولاقت إعجابًا كبيرًا من زملائه وأساتذته اللى شكروه جدًا، وشجعوه إنه ما يحرمش زملاءه من مزيد من الفيديوهات دى، وإنه يستمر في مساعدتهم، وتقديم يد العون لهم، خصوصًا إن خبرته أصبحت كبيرة، وإن ده شيء يشرّف.

معاملة "حبيب" لزملائه وكل من حوله كانت تتسم بالأخلاق وحسن التعامل، وكثير من أساتذته يثنون عليه خيرًا، وزملاؤه كمان بيقولوا إن حبيب اسم على مسمى، وإنه إنسان على الفطرة، وتلقائي كده في تعامله، لدرجة إن بعض زملائه بيلقبوه بالشيخ "حبيب"، وبعضهم يقولون له: يا مولانا، مع إنه شايف نفسه حد عادي جدًا، وبسيط، وما بيحبش الألقاب، ولا حد يناديلوا بشيخ؛ لأنه شايف إن الدعوة الحقيقية تكون في التعامل، مش لازم الواحد يكون داعية بلسانه، ويطلع يخطب على المنبر، لكن لازم يكون في الطالب المسلم والأستاذ المسلم وكل صاحب مهنة مسلم، إن حسن الخُلق والتعامل الحَسن، وتطبيقهم في الواقع هو أصل الدين.

(٥)

صناعة الأخلاق.

الشيخ "زهران" مر من قدام القهوة، وشدّه بيت الشعر اللي قاله أستاذ عباس عن الصبر، فقالهم: بما إني سامعكم بتتكلموا عن الصبر وحسن التعامل، فأبشّركم خطبة الجمعة النهار ده عن "صناعة الاخلاق".

الجالسون في صوت واحد: الله! الله! الله يفتح عليك يا مولانا، مشتاقين لخطبك الحلوة والله، غيابك في السفر لشهر كامل أثَّر فينا.

الشيخ زهران: معلش، كان لازم أطّمن على الأولاد، يلا، مستنيكم في صلاة الجمعة.

رد الجالسون: تمام يا مولانا.

أذّن المؤذن لصلاة الجمعة، وصعد الشيخ زهران، وبدأ بالحمد لله، ثم أما بعد، بدأ كلامه عن الأخلاق: لا يوجد شيء يا أحباب يزيد عن الأخلاق إلا صناعة الأخلاق، كلنا محتاجون للأخلاق في حياتنا؛ قرآنُنا أخلاق، ونبيُّنا نبيُّ الأخلاق؛ قالت السيدة عائشة: كان قرآنًا يمشي على الأرض، وكان _صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم_ يقول: أقربُكم مني منزلةً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، ويوجد أكثر من ١٣ حديثًا عن

الأخلاق سواء صراحة أو ضمنًا.

يحضرني موقف لرجل حدثني عن رؤيته لرسول الله ـ ﷺ ـ في المنام يقول: فعلت العديد من الخيرات ما رأيت النبي في المنام، وكنت دائم الدعاء لله أن يريني رسول الله، ولما حسنت أخلاقي وتعاملي أصبح راقٍ، رأيت النبي ـصلي الله عليه وسلمـ.

ويقول آخر: والله ما رأيت النبي إلا بتنظيف حمامات المساجد، فسألته: كيف ذلك؟

قال: كنت أتكبّر وأرى نفسي؛ تفكيري أعلى من غيري، ودرجة ذكائي تتطلب أن أكون في أحسن مكانة، وإن كل من حولي لا يليق بي، فتعثرت كل أوضاعي، ولما رأيت لقطة للإمام الشعراوي في مسلسل إمام الدعاة، كان ينظف حمامات المساجد حينما رفع الناس السيارة به؛ محبة له، هنا قرر أن ينظف حمامات المساجد؛ حتى لا تتكبر نفسُه، يقول الرجل: والله يا شيخ زهران، قلدت الشيخ الشعراوي، ونظفت حمامات المسجد أكثر من مرة بنية التواضع وكسر النفس، فجاءني أحد مشايخي في المنام يقول: جئت لك أنا ورسول الله؛ علشان نبيت عندك.

ورأيت معه رجلًا ظننت أنه رسول الله، لكن رأيت وجهه أحمر اللون، وأنا أعرف أن رسولَ الله أبيضُ الوجه، فقلت في نفسي: معقول رسول الله أحمر زي الأجانب!

فاقترب مني، وحينما نظرت في وجهه، رأيت وجهه أبيض شديد

الشفافية، لدرجة أن لون الدم هو الذي يظهر وكأنك سقيته اللون الأحمر، وبعدين وهو كان يتقدم، كانت كتفُه تعلو كتفَ شيخي، وكان شيخي قصير القامة، وأنا أطول منه، فقلت: هل رسول الله أطول من شيخي بقليل، وشيخي قصير القامة!

فحينما اقترب مني، كتفُه أصبحت أعلى من كتفي، فقلت: سبحان الله!

وحينما هممت بالنظر إلى عينيه باستحياء؛ لتقصيري، حيث أنني طلبت من الله أن يريني النبي حتى لو زعلان مني، فلما نظرتُ، رأيت عينيه بياضها شديد البياض، وفيها خيوط حمراء اللون تزيدها جمال وهيبة، وحينما وقعت عيني على عينيه رأيته وكأنه يحدثني: لِمَ فعلت ما فعلت من ذنوب، وأنت أفضل من أن تفعل ذلك!

حدثني من غير ما يتكلم يا عمي الشيخ زهران مجرد ما عيني وقعت على عينه! سبحان الله!

ثم ينهي الشيخ زهران الخطبة، ويقول بصوت يخالطه البكاء: والله يا أخواني، حينما قرأت في أوصاف النبي مرة أخرى، وجدت أن كتف النبي كانت أطول من كتف أي شخص يمشي بجواره، وهي من معجزاته، فقلت: صدق الرجل.

ورأيت في وصف ابن عباس للنبي أن وجهَه كان أبيض مشرَّبًا بحمرة، فقلت: صدق الرجل.

وقرأت أن عينيه كان سوادها شديد السواد، وبياضها شديد البياض، وبها خيوط حمراء تزيدها جمالًا، فقلت: صدق الرجل.

ثم قرأت أنّ من صفاته أنه يخبرك بما يريد بمجرد النظر إليك دون أن يتحدث، فقلت: صدق الرجل.

فبكى الشيخ زهران، وبكى كل من في المسجد.

***

بعد الخطبة وانتهاء الصلاة، اثنان من اللي حضروا الخطبة يتحاوران، كان أحدهم يقول للآخر: إيه رأيك النهار ده! الشيخ زهران كان ملعلع والله، بكانا، الله يعمّر بيته.

رد عليه التاني: والله، شجعنا ابن الذين ءامنوا، أنا هنفذ فكرة كانت في دماغي من زمان.

خير! فكرة إيه دي؟

هشتري جزء القرآن بـ ١٠٠٠ جنيه.

بتقول إيه! أنت اتجننت؟ ده المصحف كله بـ ١٠٠ جنيه!

لا، أنت فهمتني غلط، أنا كنت وعدت ولادي اللي هيحفظ القرآن بمعانيه، هشتري الجزء بـ ١٠٠٠ جنيه، وهدي أمهم ١٠٠٠ جنيه؛ علشان هتحفّظهم وتساعدهم إنهم يعرفوا يفهموه كويس؛ أصل الفهم مهم جدًا مع الحفظ، والفهم بيجي من معرفة المعاني وتذوقها، بعدها

يجي التدبر النابع من فهم عميق.

عندك حق والله، ناس كتير حافظة المصحف وبتخالف بعض آياته، وده في حد ذاته مشكلة كبيرة!

سمع الحوار أستاذ أيمن مدرس اللغة العربية، فشاركهم الحوار: أنا استمتعت النهار ده مرتين: مرة بالخطبة، ومرة بحواركم، فعلًا، إحنا محتاجين أخلاق: نُحيي الأخلاق، والأخلاق هتُحيي فينا كل حاجة حلوة، وبمناسبة كلام حضرتك مع الحاج عن تدبر القرآن ومعرفة معانيه، إمبارح كنت بقرأ سورة العصر وكأني بقرأها لأول مرة؛ جه في بالي معنى غريب أول مرة يجي في بالي، اسمعوه، وقولولي رأيكم إيه.

اتفضل قول، سامعينك.

أول ما قرأت قوله: {وَالْعَصْرِ}، قلت: ربنا هنا يقصد بالعصر توقيت معين، والتوقيت يعني زمن، فهو قاصد سبحانه يفهمنا أهمية الزمن، ولولا إنه مهم ما أقسم به، ثم قال: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، يعني كل البشر خاسرون، ثم أكمل: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، وهنا ربط الإيمان بالصلاح والخير، يعني المؤمن صالح ويفعل الخير، يعني مش بيقتل ولا يروع الناس، والدليل في بقية السورة؛ حيث أكمل صفات الذين ءامنوا، وقال: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، وهنا ربط الحق بالصبر، وكأنه بيقول لنا: خلي بالك، الإنسان اللي هيفوز بالجنة، لازم يكون مؤمن صالح وعلى حق، وصابر وصبور، يعني عنده

صبر، والصبر لا يتصف به إلا الحليم صاحب الأخلاق.

يعني الحكاية أخلاق يا أخوانا.

***

رجع الأستاذ عباس بيته، فسأله أولاده: خطبة الجمعة كانت عن إيه يا بابا؟

قالهم: عن الأخلاق يا أولاد، وحكى لهم الخطبة، فرد عليه ابنه مازن، وقال: فعلًا يا بابا؛

"إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم، ذهبوا".
إحنا كمان عاوزين نعمل عمل أخلاقي يا بابا، إيه رأيك؟ نعمل إيه؟

عباس: تطوع يا بني، أنت في الجامعة دلوقتي، روح فرع مؤسسة مصر الخير، وتطوع؛ التطوع حياة يا مازن يا بني، وبلدك محتاجة لك، وخدمة الناس شرف وأخلاق.

ردت هالة: وأنا يا سي بابا، نسيتني خالص! أنا عملت زي ما قلتلي، وروحت جمعية رسالة، والنهار ده عملنا حاجة جميلة جدًا، تفتكر إيه؟

عباس: قولي؛ متشوق أعرف.

هالة: كان يوم النهار ده عن كيّ الملابس القديمة، وتغليفها، وتوزيعها على الأيتام في المؤسسات الإيوائية، وعملنا لهم برنامج ترفيهي، وكمان تابعنا وضعهم الدراسي، وسمعنا لمشكلاتهم، وقررت إدارة الجمعية لما

استمعت لمشكلة انتهاء مدة إقامتهم في الدار، وإنهم بيتشردوا، ومش بيلاقوا مكان بعد انتهاء مدة إقامتهم، فبيكونوا خايفين طول الوقت لما شافوا زمايلهم اتعرضوا لكده، وهنا كانت المفاجأة؛ قررت الجمعية تعلّمهم ريادة الأعمال، وتساعدهم يفتحوا مشاريع بالتعاون مع مراكز تدريب البنك الأهلي المصري، وكمان هيدوهم تمويل من البنك لمشروعهم، ومش بس كده؛ الجمعية كمان قررت تشاركهم من البداية بأنها تساعدهم في الحصول على التدريب مجانًا، وتدي اللي كملوا السن القانوني راتب شهري، وتساعدهم يلاقوا مكان إقامة، وتمدهم بخبراء يساعدوهم في تطوير مشاريعهم طول الوقت وباستمرار؛ علشان يضمنوا نجاح مشروعهم واستمراريته مقابل ٣٠٪ من صافي الربح للجمعية.

أستاذ عباس: طب والله فكرة رائعة، وبكده يكون في مصدر دخل للجمعية بدل ما هي طول الوقت محتاجة تمويل، الله أكبر عليكم يا بنتي، باسم الله ما شاء الله!

***

مازن: بمناسبة الجمعيات الخيرية، ليه ما يكنش فيه عمل إنساني أخلاقي يتراعى فيه كرامة الناس، يعني بدل الفرح المجمع اللي العروسة البلد كلها بتعرف إن جمعية رسالة هتعملها الفرح، والعريس كمان بيكون في نص هدومه! ليه ما يكنش في قاعة باسم الجمعية، قاعة

أفراح ومناسبات، وتتأجر بمبلغ يعادل نصف المبلغ اللي هتتأجر به أي قاعة أخرى، ويكون في عرض للأفراح المجمعة بخصم ٥٠٪ علشان يشجعوا الناس على كده!

أستاذ عباس: فعلًا، فكرة فيها حفاظ على كرامة الناس، وهتوفر دخل للجمعية برده يا مازن يا بني، الله عليك!

هالة: عارف يا بابا، مازن ذكرني بفكرة كانت بتدور في دماغي من زمان، وهي إن لازم الجمعيات تدرس السوق، وتشوف إيه اللي ناقص في البلد، أقصد المنطقة الجغرافية اللي بتخدمها، وتحاول تقدم حلول مبتكرة وريادية زي فكرة قاعة الأفراح دي، بحيث تدرس المشكلات، وتشوف إيه هي أسباب المشكلات دي، وإيه الحلول المبتكرة لها، وتنفذ على أرض الواقع.

أستاذ عباس: فعلًا، يعني مثلًا عندنا في الريف والقرى، في أسر كتير بتعاني من الفقر، ليه الجمعيات ما تعملش تدريب للأسر، وتوزع عليهم أدوات، وتاخد إنتاجهم، وتسوقه هي حتى لو هتصدره بره مصر، والأرباح بالنصف، وبكده يكون كله كسبان!

هالة: زي إيه يا بابا؟ إديني مثال!

عباس: مثلًا تعليم الأسر الغزل أو الخياطة، الجمعيات تجيب الأدوات، وتدرب الأسر عليها، وتوفر الخامات، وبعدين تسوق لهم المنتجات دي مقابل ٤٠ أو ٥٠٪ حتى، وبرده هتكون كسبانة، ولو

البيئة مختلفة مثلًا، في أماكن للصيد، توفر لهم معدات صيد، وتسويق للمنتجات بتاعتهم، ولازم نوفر منتج كويس، ونصدره بره، مش لازم كله منتج محلي، كمان ممكن الجمعية تاخد دور المنسق، يعني مثلًا لو حد عنده منتج معين، والمنتج ده مش عارف يسوقه، تاخد المنتج، وتسوقه للزبون مقابل نسبة من الأرباح، زي مثلًا إن المؤسسة تتفق مع تجار ملابس إنها تشتري منهم كمية بالآجل، يعني تدفع بعدين مقابل نسبة، وما تخدش النسبة كلها، لكن تجيب عربية أو تروسيكل للشباب العاطل، وتديه البضاعة، ويبيع، والنسبة بالنصف، وده مشروع ناجح جدًا، مثلًا باع ١٠٠٠ بنطلون، لو فرضنا النسبة ٥ جنيه في كل بنطلون، يكون الإجمالي ٥ آلاف جنيه، مع العلم إنه هياخد سعره تجاري، يعني هيوزع على المحلات؛ لأنه واخده من تاجر كبير، وهنا الشاب العاطل ممكن مرتبه يصل لـ ١٠ آلاف جنيه وزيادة حسب نسبة مبيعاته، والجمعية هتاخد زيهم، وصاحب الهدوم زيهم، والكل مستفيد وبكرامة، والحفاظ على كرامة الناس من الأخلاق يا أولاد.

***

مدام ناهد: بمناسبة إنكم بتتكلموا عن حسن الخلق، وإن المعاملات الأخلاقية اللي بتراعي كرامة الناس من حسن الخلق، أحب أقولكم مقولة جميلة قرأتها عن عبد الرحمن بن المُبارك حينما سُئل عن حسن الخلق، قال: "حُسن الخُلق شيءٌ هين: وجُهٌ طليق، وكلامٌ لين".

يعني في كل المعاملات اللي بتمر على بني البشر، لازم تمارس بشكل بسيط وجه طليق مبتسم، وكلام طيب خالي من الإيذاء والشتيمة والألم.

***

عباس: فعلا ياناهد كمان من أروع الأمثلة لحسن الخلق ضربها الحبيب محمد، لما تشوفي موقف النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من الغلام اليهودي، والذي كان يخدمه، ثم مرض الغلام فزاره النبي صلى الله عليه وسلم، ثم طلب منه أن يسلم، فنظر الغلام إلى والده الذي قال له أطع أبا القاسم، موقف في قمة الروعة والمحبة والأخلاق.

(٦)
تنظيم الأسرة.

صباح اليوم التالي، "حمامة" القهوجي بقهوة الحاج عويس قاعد حاطط إيده على خده، ومتضايق، وشايل الهم!

الشيخ زهران قاعد بيشرب الشاي: مالك يا حمامة يا ولدي؟ زعلان ليه على الصبح وحاطط إيدك على خدك! شايل هم الدنيا ليه!

حمامة: والله يا عمي الشيخ زهران، قضية تنظيم الأسرة دى مضيقاني جدًا؟

ليه يا ولدي! إيه اللي مضايقك فيها؟

أصل اللي أعرفه يا مولانا إن الواحد فينا ميحددش النسل، ويقول كفاية مش عاوز تاني، والعيال نعمة! لكن أنا بصراحة معدتش طايق نفسي؛ الولية زي الأرنبة يا عمي الشيخ!

الشيخ زهران: بس في فرق بين تحديد النسل وتنظيم الأسرة يا حمامة يا بني.

حمامة: إزاي يا مولانا الكلام ده!

الشيخ زهران: تحديد النسل يا ولدي _زي ما أنت بتقول_ بيكتفي بعدد معين، ويقول مش هخلف تاني، أما تنظيم الأسرة فبيخلي في مسافة بين كل عيل والتاني، مثلًا ٥ سنين أو ٣ سنين، وفي ناس بتخلي الفترة بين أول خلفة والتانية ٨ سنين؛ علشان العيل ياخد حقه في الرباية.

حمامة: بس ده مش غلط يا مولانا حسب ما فهمت من كلامك؟

الشيخ زهران: إيه اللي غلطه يا ولدي!

حمامة: مش أنت قلت إن النبي _صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم_ قال: "تكاثروا، تناسلوا؛ فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة"! وإحنا حتى بتنظيم الأسرة بنقلل عدد الأطفال يا عم الشيخ، ولو خلينا الفترة كبيرة بين كل خلفة والتانية، يا دوب هنجيب عيلين ولا تلاتة، والولية هتكبر وتشطب!

الشيخ زهران: يا ولدي، اعرف المغزى من كل حاجة بيقولها الدين والشرع سواء قرآن ولا سنة؛ علشان ترتاح، رسول الله _صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم_ لما قال: "تكاثروا، تناسلوا"، هنا ما أجبرناش، لكن استحب إننا نتزوج ونتناسل، ولم يتحدث إطلاقًا في عدد، ولم يقل: لا تُنظّم الأسرة، بل في عهد النبي _صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم_ بلغنا إن الصحابة كانوا ينظمون الأسرة.

حمامة: يعني يا مولانا هو كان فيه على أيامهم وسائل تنظيم الأسرة زي البرشام والحقن واللولب، الحاجات اللي في عصرنا دلوقتي؟

الشيخ زهران: لا يا ولدي، لكن كان في"المنع"، وكانت وسيلة طبيعية حتى لا يحدث الحمل.

***

أستاذ "يحيى الفلاتي" مدرس الألعاب، طويل القامة، رفيع، مظهره يبدو في الأربعين من العمر: طب أنا يا مولانا مشكلتي مع العادات والتقاليد، مقتنع إني أنظم الأسرة، والمدام مش مقتنعة، وأهلها بيسلطوها طول الوقت، أقلها: ننظم الأسرة، ونستمتع أول أيام جواز، ونأجل أول خلفة شوية؛ إحنا لسه عرسان جداد!

تقول: أبدًا، أنت عاوزني أخد وسيلة! ده أمي كانت تبهدلني! كأن أمها هي ريس البيت ياعمي الشيخ!

الشيخ زهران: معلش يا بني، الحاجات دي بالتراضي، فهمها بالراحة؟

يحيى: راحة إيه بس يا مولانا! ده أنا فقدت أعصابي خلاص وتعبت منها، تصور تقولي إن الوسيلة هتجبلها عقم، وإنها هتاخد وقت كبير علشان تتعالج وممكن متخلفش تاني!

شيء غريب بصراحة! ولما قلتلها إن في وسيلة زي المنع اللي حضرتك تحدثت عنه، أو "الواقي" كوسيلة لمنع الحمل، تصور كان إيه ردها يا مولانا!

الشيخ زهران: خير يا بني! إيه اللي حصل؟

يحيى: قالتلي يا قليل الأدب! إنت إزاي نفسك سولتلك تقولي الكلام القبيح ده! لو كنت عارفاك كده مكنتش اتجوزتك، حسرة عليّ وعلى بختي الهباب!

وزمقت يا مولانا، وليها شهرين في بيت ناسها!

"زمقت يعني غضبت، كلمة بتتقال لمّا الزوجة تغضب من جوزها، وتسيب بيتها، وتروح لبيت أهلها".

الشيخ زهران: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! أبقى فكرني يا بني أروح معاك نصالحها، ونفهمها إن ده من الدين، وتنظيم الأسرة شيء كويس، وفي دورة عملاها وزارة التضامن اسمها "مودة" على النت، يعني مش هتكلفكم حاجة، اسمعوها؛ هتفرق كتير، وانصحوا الشباب المقبلين على الزواج يسمعوها؛ هيستفيدوا أكثر.

دكتور "مرقص": طب أنا يا مولانا راجل بحضر دكتوراه أهو ومثقف، ومراتي زيي ومش مسلمين، لكن شايفين إن فعلًا لازم ننظم الأسرة، وإن الدين ميختلفش مع العملية دي، لكن مع زن الأهل جالنا أول عيل "أرميا"، والحمد لله عنده إعاقة ذهنية، فقررنا إننا نصبر شوية، وشكرنا الرب، وقلنا لازم ننظم الأسرة؛ علشان منظلمش أرميا، ونهتم بيه وبعلاجه وبعملية تأهيلِه. الشيخ زهران: تمام يا ولدي، كلامك عال العال يا دكتور، أمال فين المشكلة؟

المشكلة يا مولانا إننا كنا متفقين ناخد على الأقل ٦ سنين، والمدام بتاخد برشام منع الحمل، لكن فجأة حملت بعد يا دوب سنتين، قلنا مشيئة الرب، إحنا عملنا بالأسباب، وربنا رايد كده. الشيخ زهران: برده تمام، بس كان لازم تعرف السبب إيه يا ولدي، عمرك ما تكون بتاخد بالأسباب بشكل كامل، وربنا يعطل الأسباب دي! أكيد أنت عملت حاجة تاني عطلت السبب، وبطلت البرشام!

مرقص: ما هو يا مولانا أنا مديتش بالي، وقلت الحمد لله، وجاتنا "مريانا"، واتفقنا إننا كفاية كده، مش عاوزين عيال تاني؛ لأن يا دوب مصاريفنا تقضي تأهيل أرميا، ومصاريف مريانا الشخصية، وهنحتار في باقي ميزانية البيت!

الشيخ زهران: كده كلام معقول يا بني، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، طالما مش هتقدر، فمش لازم تخلف، ولّا تخلفهم وترميهم للشارع يتربوا فيه! أكيد لأ، أنت قرارك صح كده.

مرقص: أنت اللي كلامك عن تعطيل الأسباب صح يا عمي زهران؛ تصور نفس الموقف اتكرر تاني، والمدام دلوقتي ملهاش سنتين من يوم ما جابت مريانا، وحامل تاني وبتاخد وسيلة برده، وللأسف ما كتشفناش ده غير وهي في الشهر الرابع!

أستاذ يحيى بضحكة: دي مراتك ولّا أرنبة حمام يا أستاذ مرقص! ضحك الجميع، ثم أكمل أستاذ مرقص: تعرف يا أستاذ يحيى، أنا

خلاص قربت أتجنن، وكان عقلي هيطير!

حمامة: علشان تعرفوا إنها مش مصيبتي لوحدي، وإن الحريم كلها عاوزة قطع رقابها، يكون إحنا متجوزينهم بس علشان يخلفوا ولاد الرفضي!

الشيخ زهران: استنوا بس يا أخوانا، الموضوع فيه إنَّه أكيد!

مرقص: أيوة صح يا شيخ زهران، إنَّ وأخواتها كمان! أنا شكيت إن البرشام يكون فاسد، وقررت إني هحلل البرشام ده، أيوة يا أخوانا، أعمل إيه طيب! ما أنا بعمل اللي قال عليه، وجاني عيلين بالغلط، سبحان الله!

الشيخ زهران: ما تقولش بالغلط يا ولدي؛ دي حكمة ربنا، وهدِيته؛ علشان توعِّي غيرك بحكايتك، كمل، كمل!

مرقص: وبس يا أخوانا، وبعد فترة لما بسأل أحد الدكاترة، قال: لا، البرشام سليم، لكن في مبطلات للبرشام زي المضادات الحيوية، وبعض المكملات الغذائية والفيتامينات، وسألت الممرضة والطبيبة كمان بتاعت تنظيم الأسرة في الوحدة الصحية أكدوا نفس الكلام.

الشيخ زهران: عارفين يا أولاد، اللي حصل ده لا بد نستفيد منه، وتعملوا توعية حقيقية للمقبلين على الزواج والمتزوجين؛ علشان يعرفوا كيف ينظموا الأسرة صح، ويتعرفوا أكثر على وسائل تنظيم

الأسرة، وإزاى يختاروا الوسيلة الأنسب، وإيه مميزات وعيوب كل وسيلة؛ علشان يستفيدوا منها أكثر.

مرقص: فعلًا يا عمي زهران، أنا كمان بفكر أطبع ورق فيه المعلومات دي، وأوزعه على الصيدليات، وألصقه في المستشفيات والوحدات الصحية، وكمان نعمل حملات توعية في المساجد والكنائس؛ لتوعية وتثقيف الناس.

حمامة: أجمل فكرة بصراحة؛ لا أحسن الناس في تخيلها العيال نعمة، وبيخافوا عليهم من الحسد موت، ولما تكلمهم عن الاهتمام بهم، وتربيتهم تربية سليمة، وإن تنظيم الأسرة هيساعد على كده، للأسف تلاقي الناس تهاجمك، وكأنك قلت شيء غلط، أو إن تنظيم الأسرة مش من الدين!

(٧)

الحسد

وصل أستاذ عباس المكتبة، وقال: صباح الفل يا خالد، صباح الفل يا رمزي.

رمزي: صباح الفل.

خالد: صباح الفل يا أستاذ عباس، كويس إنك جيت بدري النهار ده؛ كنت عاوز آخد رأيك في حاجة.

عباس: خير!

خالد: خير إن شاء الله، وأنت بتتكلم مع الباشمهندس محمد أمين عن كتاب "استمتع بحياتك"، ولما رد عليك إن تطبيق الكتاب سبب له مشكلة، افتكرت موقف حصل لي بسبب نفس الكتاب.

عباس: خير يا بني! قول، إيه اللي حصل معاك؟

خالد: في الواقع، هو مش موقف واحد، لكن مواقف كتير هقولها لك، الأول قرأت عن إن الإنسان لازم يكون ودود مع كل الناس، وإن اللي بيفرق هو الأسلوب، والناس بتحب الود، يعني لما تلاقي واحد

معاه عيل صغير طبطب عليه، وقوله كلمتين حلوين زي: "ده ابنك! ما شاء الله، الله يبارك"، أو "ربنا يطرح فيه البركة"، أو أي كلمتين حلوين.

عباس: طب تمام، لحد هنا كويس، أمال المشكلة فين؟

خالد: المشكلة إني لما عملت كده، لقيت الناس نظراتها بتتغير، اللي يقولي: الله أكبر عليك!

واللي يقلي: يا عم ماتخمس خمسة وخميسة!

واللي يقولي: يا عم، إيه اللي حصلك! أنت ما كنتش كده! بتسأل كتير، وتدَّخل ليه في شئون غيرك!

أستاذ عباس: لا حول ولا قوة إلا بالله! شيء يحزِّن، وأنت اتصرفت إزاي؟

خالد: بصراحة استغربت؛ في عز ما الناس دي بتشتكي من العيال، وشيفاهم عائق، بتخاف عليهم من الحسد، وشيفاهم نعمة! بالرغم إنهم طول الوقت بيشكوا أحوالهم وظروفهم!

أنا مش فاهم الناس عندنا في القرية بتفكر إزاي! تحس إن تفكيرهم متناقض يا عمي عباس!

عمومًا أنا احترمت ده، والناس مش واحد، يعني اللي بيحب أسأل عليه بسأل، واللي بيشوف إن سؤالي وتوددي تدخُّل في شؤونه، أخري معاه رد السلام.

رمزي: طب والله عندك حق يا أستاذ خالد، أنا كل يوم أقابل واحدة شحاتة، ومعاها عيالها التلاتة عند الموقف، ومش بيصعبوا عليّ؛ علشان عارفهم واخدينها مهنة، لكن علشان إحنا في أيام مفترجة، قلت أساعد بأي حاجة؛ لوجه الله.

عباس: جدع يا رمزي، عملت إيه؟ إديتهم فلوس!

رمزي: ويا ريتني ما إديتهم!

عباس: ليه بس؟

رمزي: علشان أول ما إديتها، البت الصغيرة قالت: يا ما، أحطهم فين! أنا جيبي اللي في بطني اتملى، خليهم مع البت سلمى أختي.

وأول ما بصيت على بطنها، قلت: ما شاء الله.

راحت المرة الكبيرة بصّتلي، وقالت: وه، وه! أنت هتبصلنا في رزقنا! خد يا عم فلوسك، وسيبنا في حالنا؛ الله يباركلك، يلا يا بنت أنتِ وهي، مش ناقصة!

***

أستاذ عباس: تفتكروا يا شباب، الناس مقتنعة إنها فعلًا في نعم كتير، وبتحب تداري بأنها تعكس وضعها قدام الغير، يعني تداري علشان الحسد؟

خالد: فعلًا في ناس كتير في القرى ما يحبوش يقولوا إن حالتهم

حلوة؛ بسبب خوفهم من الحسد، ومن شدة السعادة اللي هما فيها بيصدوقوا إنهم في نعم، مع إن الواحد ممكن يكون مش لاقي ياكل، لكن يحمد ربنا على الصحة، ولو مريض يقول الحمد لله؛ مرضه أبسط من غيره، وله علاج، بس مش بيحبوا يتكلموا عن النعم قدام حد، ويتظاهروا إن حالتهم بؤس وكرب؛ علشان العين!

رمزي: فعلًا الكلام ده، يعني أنا مثلًا جدتي سنها ٩٠ سنة، وتخاف موت على صحتها، ولحد دلوقتي بتمشي من غير عكاز زي الفل، لكن لما تلاقي حد غريب تقول: إلحقوني يا ولاد بالعكاز؛ لا أحسن الخشونة هتموتني!

ولما قلتلها: ليه كده يا ستي! بتعملي كده ليه! وقت ما تشوفي حد غريب على طول تعملي نفسك تعبانة!

قامت قايلة: أعمّلك إيه؛ ما أنت مش فاهم! الصحة دي نعمة يا ولدي، وكل ذي نعمة محسود، خلي بالك يا فقري، وما تقولش جدتي سليمة، وما فيهاش حاجة؛ لا أحسن العين فلقت الحجر يا منحوس!

***

رمزي: طب تعرفوا إن مرة كنت قاعد مع خالي، وخالي ده حبيبي جدًا؛ هو بيحبّني، وأنا بحبه كأننا أصحاب، مش خال وولد أخته، لكن برده يخاف من الحسد موت، وكل مرة يقابلني يكلمني عن شغله ونجاحه في الحياة، وبعدين الأيام الأخيرة فوجئت إنه وهو بيذكر حاجة

حلوة يخمس في وشي؛ علشان بيخاف من الحسد، مع إني دائم الذكر، والصلاة على النبي، والتسبيح، وقول ما شاء الله عند سماع أو ذكر نعمة، إلا إنه لازم يخمس في وشي أو وش أي حد بيسمعه لما يذكر حاجة من نجاحه، والأغرب إنه بعدها يفضل يعدد المصايب اللي بتحصل له، وإن الناس حسداه، ومش عارف يعمل ايه!

أنا أقوله: يا خال، بلاش تتكلم أحسن طالما بتخاف كدا، وإرقي نفسك وخلاص بدل ما أنت معقدنا في نفسنا، ومفيش مرة نقعد معاك إلا ما تخمس في وشنا، يا إما تشكيلنا أوجاعك! عقدتنا يا خال، الله يعمر بيتك!

يا دوب خلصت الكلمتين، وقلت لولد خالي التاني: خد يا واد، هاتلي بـ ٥ جنيه خميرة، فالولد قال: هجبلك من عند "عليان"؛ خميرته زي العسل، أنا شوفتها، قلتله: تمام.

فراح خالي قال: خلي بالك، ولد أخويا ده عينه وحشة، أنا ما صدقتهوش، وجاب الخميرة، وروحت البيت، وأول ما وصلت فتحتها، لقيتها مشعبة والفطر معبيها!

افتكرت كلام خالي، ولما توقفت شوية، قلت: هو لحق! الله يعمّر بيته، شكله صح الفقرى!

وبعدين استغفرت ربنا؛ ما هو مش معقول هيقول كلمتين، فهتبوظ الخميرة في الحال! أكيد هي بايظة من بدري، وقلت في نفسي: الله يعمّر

بيتك يا خال!

خالد: طب هقول لكم على موقف حصل معايا بمناسبة الحسد، وقولولي رأيكم.

يحكي خالد عن حياته في قريته، وإنه وهو صغير كان يروح الزرع مع والده، وكان الناس في القرية بيخافوا من الحسد موت، وفي مرة كان حصاد موسم القصب، والناس متعودة إنها تروح تقلوح عند صاحب الزرعة اللي بيتم حصادها، والقِلْواح _بكسر القاف، وتسكين اللام، وفتح الواو هو الجزء الأخضر اللي بيكون في أعلى عود القصب_، الناس بتروح تاخد الجزء الأخضر ده، وتديه للبهائم، خصوصًا البهائم الكبيرة زي البقر والجاموس؛ لأنه ناشف شوية وخشن، والبهائم الصغيرة اللي هي الأغنام أحيانًا بيكون صعب شوية في أكله، فبتفضل فيه، لأنها مش بتعرف تمضغها كلها، وعلشان كده الناس بتديه أكثر للحيوانات الكبيرة زي البقر والعجول اللي بتاخد علف.

وفي أحد المرات اللي خالد كان فيها بيقلوح عند عمه سعيد، كان موجود "عليوة الجحش"، وده مشهور في البلد إنه بيحسد، وكل الناس بتخاف منه، طول ما هو ماشي، الناس اللي في الشارع تجري أول ما تشوفه، وتستخبي أو تمشي في شارع تاني، واللى بيضطر يعدي في الشارع اللي هو فيه، بيفضل يكبر ويصلي على النبي، ويقرأ قرآن لحد ما يمشي بعده بحوالي ٨٠ متر؛ علشان الحسد، وبرده بيقولوا: ربنا يسترها، وعينه

الفقرية ما تصيبناش؟

حصل إن سعيد كان مختلف مع أبو خالد، وزرعة أبو خالد كانت جنب زرعة سعيد، فقرر سعيد إنه يؤذيه بإنه يخلي عليوة الجحش يحسد زرعته، فقام منادي على عليوة الجحش: يا حاج عليوة، إيه رأيك في زرعة أبو خالد السنة دي! مش حلوة، وقلواحها أخضر! حاجة كده تفتح النفس! هو ده الزرع ولّا بلاش!

كل ده، وخالد بيسمع.

يبص عليوة الجحش فجأة على زرعة أبو خالد، ويقول بالحرف: يا سلام يا أولاد على جمال عود القصب، ولا قلواحه أخضر زي البرسيم! يا بختك يا أبو خالد، هتهيص معاك السنة دي.

تاني يوم تقوم النار مولعة في زرعة جنب زرعة أبو خالد، وتاكل زرعة أبو خالد وزراعات تانية حواليها، وتاكل القصب، وتحوله لأعواد عاملة زي الحطب، أبو خالد يزعق ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا عليوة الجحش، منك لله أنت واللي سلطك عليا! والناس تهدي فيه، وتقوله: قول الحمد لله! وهو أبدًا، عاوزيني أقول الحمد لله علشان المصيبة تزيد، ده من حمده زاده! وما ينفعش الحمد في المصيبة!

كل ده وخالد متأثر، ويقول في نفسه؛ خوفا من والده: الحمد لله على السراء والضراء، اللهم جنِّبنا الحسد وأهله، واخلفنا في مصيبتنا يا رب.

عدى شهر، كان القصب اترفع، وراح المصنع، وجات الفاتورة لأبو خالد: مبارك يا أبو خالد؛ قصبك زاد السنة دي عشرة طن، وده هيعوض معاك فرق السعر، حيث أن القصب المحروق سعره أقل من القصب العادي غالبًا؛ لأنه بيفقد عناصر كتير نتيجة الحرق، وبالتالي المصنع بيقلل السعر، وكمان ممكن يضطر يرفض استلامه لو زادت أطنان المحروق بكميات كبيرة في فترة معينة اثناء الحصاد

أبو خالد ما نسيش الموضوع ده، وأسرَّه في نفسه، وفي السنة اللي بعدها كسر قبل سعيد، وراح بنفسه لعليوة الجحش، وعزمه يجي يقلوح عنده، وأول ما راح عليوة، ووصل للزرع، قاله: ما تتعبش نفسك يا حاج عليوة، أنا هقلوحلك، أنت بس إديها شويطة، ومر على زرع سعيد جنبك، ومتع نظرك فيه كويس.

رد عليه عليوة الجحش: عيوني يا أبو خالد، السنة الجاية هترعالوا فيها الفران!

وفعلًا، السنة اللي بعدها الفران بهدلت زرعة سعيد!

سعيد: الله يعمّر بيتك يا عليوة! أنا اللي جبته لنفسي؛ جيت أفتحها عميتها وطلمستها! يا رب مجهود السنة ضاع! منك لله يا عليوة الزفت.

أستاذ عباس: عارفين يا أولاد! الكلام اللي بتقولوه دا أنا مريت به كله فعلًا، وعندكم حق، معظم أهلنا بيموتوا من الخوف من الحسد، وفي نفس الوقت ما يبطلوش كلام عن النكد والهم! طب إزاي أنتم شايفين

إنكم في نعم ممكن تتحسدوا عليها، وإزاي طول الوقت بتشتكوا!

شيء غريب، وتناقض محير!

يحكي الأستاذ عباس عن قصته، وهو صغير كان يلعب دائمًا في التراب، ويقلب عينيه، وبالتالي التراب يدخل فيهم، وكانت عينه جميلة وواسعة، وشكلها حلو، وكان طول الوقت أهله يخافوا عليه من الحسد، ويعلقوا له خمسة وخميسة.

والخمس وخميسة تشبه كف اليد، وهي عادة متوارثة لدى المصريين عامة، يقال إن لها أصلًا يهوديًا كان يستخدم كتعويذة؛ لدرء الحسد والسحر، وكانت منتشرة أيضًا لدى المسيحيين، ويسمونها يد مريم؛ نسبةً لمريم العذراء، وعند بعض المسلمين يسمونها بيد فاطمة؛ نسبةً إلى فاطمة الزهراء، وهناك رأي يقول أنها عادة قديمة حتى قبل اليهودية.

الكل يستخدمها من أجل الخوف من الحسد ومنعه، وظلت موجودة حتى الآن رغم أن الدين فيه الكثير من التحصينات والرُّقىٰ التي تمنع الحسد والسحرَ وخلافه، إلا أن العادة والعرف قد تسيطر على الناس، وتتغلب على كل شيء!

يكمل أستاذ عباس كلامه: بالرغم إن أهلي كانوا حريصين جدًا عليَّ، وبيعلقولي خمسة وخميسة، وبيبخروني، ويعملوا لي كتاب عند الشيخ "جواد"، إلا إن ده ما منعش إني أكون محسود من وجهة نظرهم، وإن الحسد مسيطر عليَّ!

والشيخ جواد ده كان راجل حافظ القرآن، بيقرأ في المناسبات، وكان بيرقي الناس، ويعمل كتاب كحجاب واقي من الحسد، وده بيكتب فيه قرآن، ويطبق الورقة، ويكسيها بقطعة قماش، وكانت أمي _الله يرحمها_ تضع دبوس قماش في الحجاب، وتضعه في ملابسي، ولما أنام تفكه، وتضعه تحت المخدة بتاعتي.

كانت كسوة الحجاب لونها أصفر جميل، وكان عباس يظن إن هذا الحجاب هو الواقي والمانع له من كل الشرور، وأنه في أمان طالما معاه الحجاب، وإنه هيشوف كوابيس، ونومه هيكون وحش، وكله قلق لو الحجاب مش تحت المخدة بتاعته، وده لأن أمه علمته كده!

ويكمل أستاذ عباس: الغريبة إن ما حدش من أسرتي فكّر إن ممكن يكون السبب الرئيسي لوجع عيوني هو لعبي الدائم في التراب وتقليب عيني، مما يعرضها للميكروبات!

مع تكرار لعبي في التراب، وإهمال الأهل، وتكرار كلمات الحسد اللي كانت أسمعها من اللي حواليَّ زي: "عيونك واسعة زي عيون البقر"، عيوني تعبتني، وكانت تؤلمني بشدة، وكنت بشعر بحكة جامدة فيها، وكمان مش قادر أفتح عيوني في الشمس، وطول الوقت برمش كتير، والرمش "فتح وغلق العين بسرعة".

تحرك الأهل، وودوه لطبيبة عيون في قفط، ثم في قنا، واللي أكدت إن عنده رمد ربيعي، وده بيجي وقت الربيع؛ لأن بيكون فيه تلقيح

للنخيل والزهور، والعديد من الزرع، فعيونه بتتعب لما يدخل فيها الغبار المتطاير.

رحلة علاج عباس طوِّلت جدًا، خصوصًا إن الطبيبة أكدت إنه هيخف بالتدريج لحد سن البلوغ، وبعد ما يبلغ هيقل تأثير الرمد الربيعي على عيونه، وهيكون طبيعي جدًا، وكان ياخد أنواع كثيرة من القطرات للعيون، والمعلق وهو مرهم سائل، وبعضها فيها كورتيزون، وعلشان كده الطبيبة كانت تنصح بأخذ الجرعات المناسبة والمتفق عليها من القطرات اللي فيها كورتيزون؛ لأن كثرته مضرة، وإنهم مضطرين ياخدوها لفترة بسيطة؛ علشان ما يعملش زي الإدمان للعين، وكان بياخد معها مراهم للعين، ولا يزال أستاذ عباس يتذكر الخطوط الحمراء، وأحيانًا بنية اللون بجانب الخطوط الزرقاء التي كانت مطبوعة على ورقة قطرة العين.

في الواقع، لم تقتنع أسرته برحلة العلاج وحدها خلاف العادات المتوارثة لدرء الحسد والعين، لذلك لجؤوا إلى العلاج الشعبي، وهو نوع من أنواع العلاج المعروف آنذاك، وهو عبارة عن وصفات مجربة لناس مرّوا بنفس الأدوار الصحية من التعب وجابت نتيجة حلوة معاهم.

قررت الأسرة إنها تمشي في كل الجوانب، ومحدش عارف الخير فين! فتارّةً حد يوصف لهم سكر نبات على إنهم يغلوه، ويضعوه في قطرة يقطر بها صباحًا ومساءً، وتارّة حد يوصف لهم الكحل بالبصل ، وإنه

مفيد ومطهر ويوسع العين ويقتل الميكروبات، وتارّة أحد المشايخ الذي يتبعهم صديق والده الحاج محمد ينصحهم بإنهم يجيبوا طماطم، ويقسموها نصفين ويضعوها في الثلاجة ثم يجيبوها لما تبرد، ويضعوها على العينين، كل نصف على عين، ويربطوها بمنديل قماش، وفي اللى نصحهم بالشبة البيضاء والجنزارة الزرقاء، ومنهم اللي نصحهم بمياه زمزم؛ يفتح فيها عيونه بنية الشفاء.

كان أهل أستاذ عباس يجربوا كل ده معاه، إلا إن المرض ما زال مستمر، صحيح إن بعدها أحيانًا كان يخف الألم لبضع دقائق، لكن لم يقضِ على مرضه، بل إن بعضها كان يسبب ألم رهيب له!

ونتيجة لقلة الوعي تعرض عباس لتعب أكبر؛ مثلًا كان كل ما قطرة تحرقه في عيونه، أبوه يقول له: هي كده بترعى في عيونك وهتجليها وتخليها تخف، وكان يصدق لدرجة إنه في مرة كان في احتفال مولد النبي، والأهل مشغولين، وهو عيونه وجعاه أوي، ومش قادر يفتح، فدخل على تلاجة جدته اللي كانت مش بتخلو من مرهم أو قطرة للعين، فلقى قطرة، وقطّر بها، ونار قامت في عيونه بشكل رهيب! هنا تذكر كلمات والده إنها بترعى في عيونه، وهتجليها يعني تمشي الاحمرار اللي فيها، وترجعها بيضاء زي الشاش، كرر سيد العملية دي حوالي ثلاث مرات في حوالي أقل من ساعة، وكل مرة الألم يزيد، مفيش حاجة حلوة في القطرة غير إنها متلجة، لكن بتؤلم جدًا!

وفجأة جات جدته، وصرخت: يا لاهويي، إلحقوني! دي قطرة الأذن يا ولدي! كيف بتقطر منها في عيونك! دي مش بتاعت عين!

للأسف، وبالرغم من كل ده، إلا إن الأهل بيرجعوا اللي حصل للحسد، ونسيوا إن لهم دور كبير بجهلهم، وعدم متابعتهم لابنهم، ومنعه من اللعب في عيونه وتقليب رموشه، وكمان البعد عن الوصفات اللي ملهاش لازمة؛ كان يجب إنهم يكتفوا بتعليمات الطبيب فقط.

(٨)
أوضاع القرية

المهندس محمد أمين يرسم اسكتش القهوة كالعادة في قهوة الحاج عويس، وفجأة يرن التيليفون، وأثناء المكالمة يصرخ، ويقول: لا، أوعى يا حبيبي؛ لا أحسن الكَبَّارة تيجي تاكلك! "الكَبَّارة _بفتح الكاف وتشديد الباء_ وحش وهمي كانوا يخوِّفوا به العيال الصغيرين زمان".

وبعد انتهاء المكالمة يتحدث إليه "بربري صالح": يا فنان، مش كفاية كانوا ينشفوا ريقنا زمان بأم الكبارة دي! دلوقتي أنت بتكرر نفس الحكاية مع الولد! يا راجل، ارحمه، ما تبقاش كده!

ضحك المهندس محمد أمين ورد عليه: أصل الولد زودها أوي يا أستاذ بربري؛ ده كل ما أقوله يعمل حاجة، يقولي مليش دعوة، مش هعملها، فافتكرت أمي زمان لما كانت تخوفني بالكبارة، وتقولي هتيجي تاكلك، كنت أجري استخبى، ولو بالليل اتغطى، وأقعد أهلوس بيها الليل كله!

بربري: الغريبة يا أخي إن الكبارة دي اسم قرية في القيروان بتونس، إيه اللي جابها عندنا في الصعيد بمصر! ما تعرفش! وإيه سر التحريف

الرهيب ده برضه ما تعرفش! شيء غريب فعلًا!

تصور إن في ناس تحسسك وهي بتقولها للعيل إنها موجودة فعلًا!

أثناء حديثهم كان رمزي موجودًا يشرب كوباية شاي، فسمع اسم الكبارة، وظهر عليه الخوف: يا ستّار يا رب، كبارة! خير يا أخوانا! إيه اللي حصل؟ هي الكبارة كلت حد هنا ولا إيه!

بدا عليه الهلع، وكأن الموضوع حقيقي! أصل رمزي يجيد التمثيل وكان عنده حلم إنه يكون ممثل كوميدي، فحب يضحك، ويضحَّك الناس شوية.

الكل ضحك فعلًا لما شافوا منظر رمزي وهو بيمثل خوفه من الكبارة؛ أصلها عادة قديمة منتشرة في أغلب القرى، كل لما يكونوا عاوزين يخوِّفوا عيل، يبدعوا في وصف الكبارة المتوحشة!

***

بضحكة خفيفة يرد "أستاذ بربري": ياه يا رمزي! ضحَّكتنا يا راجل، وفكَّرتنا بأيام الزمن الحلو اللي كان مليان خير وبساطة، صحيح كان فيه خرافات كتيرة، لكن برده كان مليان حب وود، والثقافة على قد ما كانت محدودة إلا إن الرضا كان بيعم على الكل رغم الجوع والفقر، لكن كان الناس إيديهم في إيدين بعض.

ثم يسترسل أستاذ بربري في الحديث عن أهل القرية حتى يتذكر

بعض مواقف جدته، ويحكي للموجودين أن جدته كانت كريمة جدًا، وكان عندهم بقرة، كل يوم جدته تودي منها علبة لبن لبيت من البيوت المجاورة، تقريبًا البلد كلها شربت من لبنها، ويقول: كان في طاقة زمان الناس بتوضع فيها الأشياء كخزين، وأحيانًا بيخلوها بين كل بيتين؛ علشان الجيران يتبادلوا الأكل وأي حاجة بينهم بسهولة، ما كانش فيه كسوف ولا خجل، كان الكل يحب بعضه، وأي حد تنقصه حاجة ياخدها من جاره، وجاره لو نقصته حاجة ياخدها منه، كان فيه محبة بجد وود ما لهوش حدود، آخر الليل الكل يتجمع، الحريم تحكي مع بعض، والرجال يتسامروا، واللي يعزف على الربابا، واللى على الناي، واللى يقول شعر، تشعر وكأن الفن بيجرى في عروقهم!

***

محمد أمين: فعلًا يا بربري يا أخويا، وكله كوم وحكاوي السيرة الهلالية وأبو زيد الهلالي كوم تاني؛ تحس إنك شايف مسلسل السيرة الهلالية قبل ما يتزاع أو نشوفه على التيليفزيون من كتر ما كنا بنتخيل المشاهد! دقة في الوصف غير متناهية، وانفعال تحس إن الشخص اللي بيحكي كان حاضر معاهم، وشاف أبو زيد الهلالي، ودياب، والزانتي خليفة، فعلًا وصف قمة في الروعة!

قاطعهم رمزي: أيوة صح، وأنا والعيال كنا نتحمس، وتاني يوم كل واحد يخطف عرق بوص درة من السباتة، "السباتة دي ستارة من أعواد

الذرة الناشف، كانوا يجمعوها ويسقفوا بها البيوت".

استكمل رمزي: ونفضل نحارب بعض بيه، وكل واحد يتخيل نفسه شخصية، أنا كنت أعمل أبو زيد، وواد عمي يعمل الزناتي خليفة، وواد عمتي يعمل دياب، ونفضل نضرب في بعض النهار كله، كانت أيام زي العسل.

رد محمد أمين: فعلًا، كانت أيام فيها الحلو كتير، كانت ماشية بالبركة، أنا جدي كان معاه دكان، وكان يمليه بضاعة، ويبيع صبر شكك يعني، ولما الدكان يفضى ويبقي مفهوش حاجة، أبويا يقوله: يا بوي، هنعمل إيه؟ الدكان فضي والناس ما جيباش فلوس، هنجيب بضاعة إزاي؟

كان يقوله: قول يا رب، قول يا رب، وهي تُفرج؛ اللي رزقه على سيده ما حدش يكيده يا ولدي، وكان يصلي الفجر، ويطلع على المركز والمسافة بين القرية والمركز كبيرة، حوالي ١٠ كيلو، وكان معاه حمارة يركب عليها، وياخد معاه المنديل المحلاوي، وده منديل كبير، حوالي مترين في مترين؛ علشان يحط البضاعة فيه وكان يجيب بضاعة ويدفع جزء من المبلغ، والباقي يطلب من صاحب البضاعة إنه يستنى شوية عليه؛ لأنه بيبيع صبر، والناس حالتها بعافية شوية، وكان الراجل يستنى عليه، وبعد كده ناس تجيب الفلوس، ويسد للراجل بتاع البضاعة، وكانت ماشية.

***

أستاذ بربري: فعلًا، كانت أيام حلوة، لكن برده كان فيها بعض الحاجات التقليدية، وكان لها تأثير وصدى صوت مسمع، سبحان الله! الناس كانت تقتنع بها أوي زي مهنة المَجَبِّر _بفتح الجيم، وكسر وتشديد الباء_، وده كان بيعالج الصدع والكسور والشروخ اللي بتحصل في العظام، مع إنه مش طبيب!

يحكي أستاذ بربري على واقعة صدع رجله وهو صغير، وإن تمت معالجته عند المجبر اللي مسك رجله، وطلب منه يبص لفوق على العصفورة؛ علشان ما يشوفش رجله وهي بترجع لوضعها الطبيعي ويقاوم، وبعدين رجعت رجله لوضعها السليم، ولحظتها صرخ صرخة قوية من شدة الألم، بعدين دهنها بكريم، وجاب كرتونة، وقسمها لشرائح، وحط كل شريحة على كل جنب في رجله: من فوق، ومن تحت، وعلى الجناب، ولف عليها شاش، وفوقها شريط لاصق، وطلب منه يفكها بعد شهر، وما يمشيش عليها كتير؛ علشان تطيب "تخف يعني"، والحمد لله كانت تجربة ناجحة، ورجله رجعت لطبيعتها.

***

رمزي: بقولك يا أستاذ بربري أنت والفنان! فاكرين ضربة الشمس، وكيف كنا نطلعها! أنا اتعلمتها من عمي، بعزق وبعرف أطلعها، ودي فعلًا بتخلى الواحد يخف من الصداع، قولى دى كمان خرافة!

محمد أمين "بضحكة: لا يا رمزي، ضربة الشمس موجودة فعلًا، لكن علاجها _خصوصًا في القرية_ هو اللي خرافة، يعني إيه يا رمزي واحد يعض واحد في جبهته! ولا يجيب فوطة ويفضل يشد في ظهره لحد ما يقطع نفسه! ويقولوا: بطلَّع ضربة الشمس! ده بيموتوا كده يا جدع!

رمزي: لا يا فنان، أنا مش بعمل كده؛ أنا بطرشق الرأس طرشيق، وكمان بشد الشعر، صحيح ممكن يطلع شوية في إيدي، لكن في النهاية بتخف، وبتبقى عال العال.

بربري "بضحكة: أنت كده مش هتخليه يخف، أنت هتخليه يصدع على صديعة يا رمزي!

***

ضحك الجميع على الموقف، وجه "علي أدهم" صديق بربري صالح، ومعاه ولده "باسم" جايبه من الشيخ بعد ما قرأ له شوية، وإداله مياه قرآن، وهي المياه اللي مقروء عليها قرآن، وقال له إنه مخضوض، ويشرب المياه، وهيبقى زي الفل.

اطمن الجميع على صحة " باسم" من والده، وبربري طلب له كوكاكولا، ورمزي جابله بسكويت من السوبر ماركت.

علي أدهم: تعرف يا بربري! عمي الشيخ مصطفى من العارفين بالله، قطب كبير؛ كل ما أتعب أروح له يقرألى شوية، وأخف على طول، تصور كان مرة زمان ابنه الشيخ رضا قال له: بابا، أنا حاسس إني عاوز أطير!

فقال له: وريني كده!

قام الشيخ رضا طار في الهواء، فقام عمي الشيخ طاير مسافة أكبر منه، وخدوا في حضنه، ونزل بيه!

كرامة دي ولا مش كرامة يا بربري! الناس اللي بتكدِّب كرامات الأولياء!

بربري: يا علي، أنت شوفت الموقف ده بنفسك؟

علي: لا، لكن الناس حكوا عنه، وأكيد مش هيكدبوا يعني!

بربري: يا علي، الموقف ده يرفضه العقل، فأنت لا تكذِّب، ولا تصدَّق يا سيدي! يعني خليك في منطقة الأمان، وما تنقلش الموضوع ده؛ علشان لو كدب يبقى أنت بتنقل إشاعة! ولو فرضنا إنه كرامة زي ما بتقول، وحصلت، فأنت ما أنكرتنش، ولا حاربت أصحاب الفكر ده، وأنت كده بتحترم كل الناس بدون ما تقع في خطأ!

علي: عندك حق، فعلًا الواحد بقى عايش في بيئة مليانة إشاعات! مش عارفين الحقيقة من الكدب! وعلشان نكون في مأمن نسمع، وما

نتكلمش، ونبعد عن كل الانتماءات، ونخلي انتماءنا الحقيقي لله _سبحانه وتعالى_ وللوطن.

يكمل بربري: تعرف يا علي! أنا زمان سمعت قصة أكتر من اللي بتقول عليها، أهلنا حكوا لينا إن كان في شيخ عظيم اسمه الشيخ عبد الصبور، ده أبو الشيخ عبدالعزيز قارئ القرآن بالقرية، والمشهود له بالبركة والصلاح وحسن الخلق.

علي أدهم: أيوة عارفه، كان بيجي عندنا البلد في المواسم زي ليلة المولد، وصوته جميل، كمل يا غالي.

يكمل بربري: قالوا إن الشيخ عبد الصبور كان فاتح كُتاب لتحفيظ القرآن الكريم للعيال الصغيرين، وفي مرة مجموعة من العيال حفظوا القرآن، وكان من ضمنهم عيل دق جامد في جلابية الشيخ، ومسك فيها وقال له: يا مولانا، أهلي مصممين إنك تيجي تشرفنا؛ لأنهم عازمينك عندنا على العشاء؛ بمناسبة إنك حفظتنى القرآن.

قام الشيخ قال له: موافق يا ولدي، يلا بينا!

راح الشيخ عبد الصبور معاه، وبقى الولد يلف من شارع لشارع، ومن خرابة لخرابة لحد ما راح بيه في مكان مضلم ما فهوش نور، وبعيد عن العمار والبلد، قام الشيخ قال له: يا ولدي، أنت مودينى على فين!

قام الواد نطق، وقال له: يا مولانا، أنا من الجن المسلم، وأنت

حفظتني القرآن، وأهلى عاوزين يكافئوك، فمشي معاه شوية لحد ما ظهر أهله من الجن، فقالوا له: أؤمر يا شيخنا، نكافئك إزاي؟

قام الشيخ قال لهم: عندي فدانين قمح، سبوهم، وما حدش ياكل منهم حاجة، الله يباركلكم!

فقالوا: إزاي يا مولانا! ده كتير! إحنا آخرنا نسيب لك فدان، وناخد فدان؛ نتقوِّت منه.

فوافق الشيخ عبد الصبور، ومن ساعتها بقى عنده فدان قمح يجيب ٦٠ شوال، وفدان يجيب ٣٠ شوال؛ حيث أن الكثير من الناس ومنهم الشيخ عبد الصبور يدركون أنّ الجنَّ يأكل معنا في الحبوب والغلال.

بربري: بذمتك يا علي! القصة اللى حكتها لك أخطر ولا قصتك؟

علي: بصراحة الاتنين، لكن قصتك أنت بتقول إن البلد عمرانة بأهل الخير.

بربري: ده صحيح، بس تفتكر مش ممكن يكون فيها زيادة أو نقصان، وإننا ما نعرفش القصة الحقيقية! مش ممكن تكون الناس بتزوِّد شوية!

طب تفتكر ليه المدن ما فيهاش القصص دي! ولّا أهل القرى إيمانهم زايد!

طب لو زايد ما كانش ربنا قال عنهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا

وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}، يعني مفيش الإيمان الكامل، ودايمًا تلاقي القصص في القرى أقرب للخيال!

***

محمد أمين: فعلًا، تعرفوا إن زمان كانت جدتي بتحكي لنا عن أبو الحفارين الكبير لما دفن أحد الناس الصالحين في القرية، وهو بيدفنه قعد يكبر ويهلل "الله أكبر الله أكبر"، "القندة الخضرة" جات يا أولاد، والقندة الخضرة دي لفظ لطاقة من الجنة اتفتحت، وينادي على الناس: اللي حابب يروح في جناب الخير يا أولاد ينزل، اللي حابب يروح في جناب الخير يجي!

ومحدش فهم ونزل، بعد شوية الناس لقوا القبر فاضي، لا الميت موجود، ولا الحفار كمان!

***

رمزي: بس جدتى أنا تختلف كتير عن جدتك ياهندسة! تعرف! كانت بتموت من الضحك.

محمد أمين: زيك كده يا رمزي؟

رمزي: أكثر، طب تحب تسمع حكاية الحقنة؟

محمد أمين: قول يا زعيم.

رمزي: كانت جدتي تخاف من الحقن موت، وتكره سيرتها سم، ما

تحبش حد يجيب سيرتها، كانت ست كبيرة جدًا في السن حوالي حاجة وتسعين، وأنت عارف عوايدنا في القرية، اللي يتعب بنعمل معاه إيه خصوصًا الكبير في السن، أبويا كان يخاف عليها، وهي تحب تروح للدكتور جدًا، ومتخِفّش وتبقى أحسن غير لما تروح له! ما تحبش تكتفي بالطب الشعبي، المهم في يوم تعبت جدًا، فأبويا وداها الوحدة الصحية، كانت الرئة وجعاها، ومش قادرة تاخد نفسها، والدكتور إداها جلسات أكسجين، تصور وهي ماشية طلبت إيه!

محمد أمين : طلبت إيه؟

رمزي: قالت هتولي أنبوبة الأكسجين دي في البيت، وصممت تاخدها، وطبعًا في الوقت ده كان صعب وممنوع إن الدكتور يطلّع حاجة زي دي من المستشفى! وما كنش في أنابيب أكسجين بره المستشفى نقدر نجبها ليها في البيت أو منتشر جهاز الفاركولين زي دلوقتي!

فإداها الدكتور علاج ومن ضمنه حقن، تاخد ست حقن مرة واحدة! تصور عملنا إيه علشان تاخد الحقن!

محمد أمين: أكيد هي رفضت تاخدهم، المهم شوقتني أنتم عملتم إيه؟

رمزي: دي هي اللي بهدلت الدنيا أول بس ما عرفت إن في حقن، من غير ما تعرف إنهم ستة مرة واحدة!

ندهنا "نهى" جارتنا في البلد وطبعًا كان بيت عيلة، وأنت عارف بيوت العيلة في القرية شكلها إزاي! دوشة، وزيطة، والعيال كلهم اتلموا، واتفقنا مع نهى إنها تدي لها حقنتين في كل مرة، وكأنها بتضرب حقنة واحدة على ٣ مرات، وقلنا لها إنهم تلات حقن مش ستة، خدت أول حقنتين، وصرخت: تاكلي أمك يا نهى! وخدت الحقنتين التانيين وعينك ما تشوف إلا النور؛ جدتي اللي مش بتقف على رجليها، خدتها جرى في البيت، هي تجرى وتدعك مكان الحقنة، وإحنا نجري وراها خايفين لتقع، قلت: سبحان الله خفت قبل ما تكمل الحقن! الحقن دي فيها الشفا.

أبويا قال لى: شفا إيه بس! دي جدتك اتقلبت واحدة تانية! الحمد لله إن جدك مات، وما شافش المنظر ده، ولا كأنها عيانة بنت الذين ءامنوا!

محمد أمين "بمزاح": ده أنت مشكلة كبيرة يا واد يا رمزي، مش أنت بس، لا واضح إن العيلة كلها كده!

رمزي: تسلم يا فنان، من بعض ما عندكم.

محمد أمين: عندنا إيه! ده أنت وجدتك عديتوا!

***

أستاذ يحيى الفلاتي: صباح السعادة يا فنان، منور يا رمزي أنت والحبايب، منور يا أستاذ بربري أنت وعلي.

رد الجميع: صباح الفل يا أستاذ يحيى.

محمد أمين: فينك يا أستاذ يحيى! كنت سمعت قصة جدة رمزي اللى تموت من الضحك!

يحيى: والله أنا اللي عندي قصص تشل من الضحك يا فنان، اطلب لي قهوة، وأنا هسمعكم.

محمد أمين: حاضر يا بطل، عيوني، واحد قهوة يا حمامة.

حمامة: من عنيا، غالى والطلب رخيص، أحلى كوباية قهوة لأحلى أستاذ يحيى الفلاتي، ألّا هما سموك بالفلاتي ليه يا أستاذ يحيى؟

يحيى: ده لقب يا حمامة، كان جدي الله يرحموا راجل مزجنجي، يشتغل ويدب النهار كله، وآخر الليل يروح عند غنيمة الصايعة يهلس شوية معاها، فطلع عليه اللقب ده.

حمامة: واضح إن جدك كان مقضيها، باين إنه كان صاحب مزاج!

يحيى: وهو حد ودَّه العيلة في ستين داهية غير مزاجه العكر! يلا، الله يرحمه، ما تجزش عليه إلا الرحمة.

رمزي: طب ما أنت حلو أهو يا أستاذ يحيى وابن مزاج ورايق!

يحيى "بضحكة خفيفة": ابن مزاج! ليه يا رمزي، قاعدين في غرزة! أمال لو مش جنب مديرية الأمن على بعد خطوات أهي!

تعرف يا رمزي إن موضوع جدتك ده فكرني بجدتي!

رمزي: إزاي؟

يحيى: أصل جدتي كانت حوالي ٨٧ سنة، وكانت دائمًا تعبانة، ومشيتها ضعيفة، ومستنية الموت في أي لحظة، وفجأة الولد ابني عفصت (داست)عليه عربية الكر "عربية الكر _بفتح الكاف وتسكين الراء_ تعني عربة خشبية كان يجرها حمار"

يكمل أستاذ يحيى حديثه: قامت جدتي أول ما شافت ابني عليوة والعجلة بتاعت العربية فوق رجله، جرت بسرعة، وقلت العربية لفوق، وطلعت الواد، والناس كلها قعدت تصقف لها، وتقول: الله ينور يا أم خليل، ينصر دين أبوكِ، وأول ما أنا رجعت البيت لقيت الناس كل اللي يقابلني يقول: ما شاء الله على جدتك الدهن في العتاقي! وأنا مش فاهم حاجة لحد ما دخلت البيت، وفهمت، وشكرت جدتي جدًا، لكن الغريبة في اللي قالته لي!

محمد أمين: قالتلك إيه؟

يحيى: قالت لى اشكر الظروف اللي خلتني عرفت قوتي الحقيقية، تعرف يا يحيى يا ولدي! البني آدم مننا بيشعر في لحظات من كتر الهموم والمشاكل إنه ضعيف جدًا، وفجأة تحصل حاجة ترجع له ثقته في نفسه من تاني، ده بالضبط اللي حصل معايا، ناس كتير بيقولوا لى يا أم خليل، كيف قليتِ (رفعتِ) العربية التقيلة دي! دي وزنها حوالي ٨٠ كيلو

بالحمل اللي عليها (كان عليها حديد خردة)!

تستكمل الجدة: قمت قلت لهم يا ولدي إن أنا لما رفعت العربية ما كنتش شاكة للحظة واحدة إني مش هقلها، لكن كنت واثقة كل الثقة إني هقلها، وهنقذ حفيدي الغالي.

***

محمد أمين "بضحكة خفيفة": ده أنت شكلك معبِّي يا أستاذ يحيى، قول قول يا وش السعد؛ لا أحسن لينا فترة كبيرة ما ضحكناش!

يحيى: أقول إيه بس! من يوم ما حولوني من مدرسة القرية للمديرية هنا بالمحافظة وكأنهم بيعاقبوني مش بيرقُّوني!

محمد أمين: ليه بس؟

يحيى: صحيح المرتب زاد، لكن استهلاكي ومصاريفي زادت الضعفين؛ كنت في البلد بمدرسة القرية، المدرسة جنب البيت فما كنتش بصرف، إنما دلوقتي ما يكفنيش خمسين جنيه في اليوم ما بين مواصلات من القرية للمركز، ومن المركز للمحافظة، ومن المحافظة لحد الشغل، والكلام ده رايح جاي، ده غير فطار الساعة عشرة؛ لأني بكون مُفطر خفيف في البيت، فبضطر آكل رغيفين طعمية وكوباية قهوة ولا شاي.

محمد أمين: فعلًا الموضوع متعب، أنا كمان من قرية زيك، وآديني اتعينت هنا في مدرسة صنايع ببكالوريوس الهندسة اللي معايا، كنت

مقدم بعقد، وبعدين اتثبت الحمد لله، لكن اللي جاي على قد اللي رايح، علشان كده اضطريت أسكن هنا لما لقيت الحكاية هي هي.

يحيى: يلا، الحمد لله، كفاية إننا بنشوفكم كل فترة، من يوم ما عرفت قهوة الحاج عويس، وعرفني عليها الأستاذ عباس، وأنا لازم آجي كل فترة أسلم عليكم، ناس زي العسل.

الجميع يردون عليه: شكرًا، ربنا يباركلك.

يحيى: الله يبارك فيكم يا حبايب، كان نفسي أجبلكم قصب وأنا جاي، لكن العيال بهدلوا الدنيا.

رمزي: عيال مين يا أستاذ يحيى؟

يحيى: كان في واحد معرفة رايح مصنع قوص، ومعاه جرار شادد مقطورتين قصب من زرعتهم الخاصة قلت أستأذنه إني آخد كام عود قصب، فلقيت نصف عيال البلد عمالة تخطف من المقطورة، والراجل عمال يزعق معاهم، ويصرخ بأعلى صوته، فاتحرجت منه بصراحة، ومشيت.

رمزي: فعلًا، الناس بقى سلوكها وحش، وتاكل مش مهم حلال ولا حرام، المهم تاخد وخلاص!

يحيى: فعلًا يا رمزي، شيء يحزِّن بجد! وكمان القطر بتاع القصب كان مريح، صحيح الناس اللي زرعتها بعيدة كانت بتتعب في نقل القصب

لحد مكان القطر، والجرارات الزراعية ريحتها دلوقتى، وبتدخل جوه في الزرعة، وتوفر مشال، لكن برده القطر كان مريح؛ يكفي ما فيش حوادث!

رمزي: فعلًا، ده تقريبًا الجرار بالمقطورتين بياخد أكثر من نصف الشارع، خصوصًا إن شوارعنا ضيقة، والناس لما الرئيس والحكومة يهتموا بالشوارع ويعملوا طرق حلوة وكباري تمام، يقولوا حكومة مش فالحة غير في الطرق والكباري!

محمد أمين: إيه يا أستاذ بربري مالك! ساكت أنت وعلي! ما تشاركنا بموقف كوميدي ولا حاجة!

بربري: أقول إيه بس يا فنان! الضروس هتموتني من الألم!

يسرح أستاذ بربري، ويتذكر من سبع سنين فاتت وهو في الغردقة، كان راكب التاكسي مع واحد من أولاد عمه، وكان ساعتها بيشكي له من ألم الضرس؛ لأنه كان ضرس العقل ومدفون "طالع بالجنب"، مش لفوق زي باقي الأضراس، وطبعًا اضطر ابن عمه محمد إنه يقلعه عن طريق عملية في أحد العيادات الخاصة؛ لأنه هيحتاج خياطة وشغل تقيل مش أي طبيب يعمله، وأول ما بص الأستاذ بربري على محمد وشاف مكان الضرس وهو متخيط، قرر يستحمل الألم بتاع ضرسه ولا يقلعه.

يفوق أستاذ بربري من خياله، ويتنهد: ياه.

ثم يعاود الحديث مع نفسه: مرت سبع سنين وأنا بتألم! على رأي المثل: خبطة بالمرزبة ولا عشرة بالشاكوش! والله لأروح أقلعه بكرة، بس المشكلة إن زي ما ضرس العقل في الفك اليمين، كمان في ضرسين في الفك الشمال محتاجين يتحشوا أو يتقلعوا؛ لأن أنا باكل حاليًا على الناحية اليمين، فلما أخلع ضرس العقل ده، مضطر أكون حاشي الضرسين اللي على الناحية الشمال علشان متألمش وأنا باكل.

(٩)
معاناة وفرج.

يذهب الأستاذ بربري إلى عيادات الأسنان التابعة للجامعة واللي نصحه بها أستاذ عباس؛ حيث أن مستشفى الأسنان هناك تم تطويرها بالعديد من الأجهزة، وراح وفي ظنه أنه سوف يجد كل ما يخص الأسنان، وده لأنه يوجد اتنين من المستشفيات الخاصة بالأسنان: واحدة خاصة بالخلع والتنظيف والحشو، والأخرى بالجراحة والتقويم

وبعد أن وصل كان يوم خميس، فقطع ورقة "تذكرة"من الشباك، واستنى دوره، كان فيه واحد بينظم، وياخد التذاكر، وينادي على الأسماء بالترتيب، ولما جه اسمه دخل، فلقى كراسي وسراير طبية كتير، وفرح إنه أخيرًا هيحشي الضرسين اللى بيألموه، ويخلع ضرس العقل كمان، وأول ما دخل على الدكاترة، سألوه: ها، إيه اللي بيؤلمك، وجاي علشانه؟

رد وقال: صيانة شاملة: تنظيف، وخلع، وحشو.

طلبت منه طبيبة من الثلاثة اللي واقفين بيشوفوا حالته: ها، افتح بؤك!

فتح فمه، وكانت الكارثة!

إيه ده يا فندم! هو صحيح أسنانك حلوة من بره إلا إن من جوه لو شفتها هتتخض!

رد عليهم: ما تنضفوها!

ردوا: لا يا فندم، هنا ما فيش تنظيف، هنا خلع بس.

طب تمام، اخلعوا لي ضرس العقل المدفون ده وعليه حشو.

الطبيبة: إزاي مدفون وعليه حشو! وريني كده!

بربري: أصله يا فندم الطرف اللى باين منه كان مسوس وضاغط على الضرس التاني، فطلبت من طبيب الوحدة الصحية في البلد إنه ينضف ما بين الضرسين، ويحط حشو على الضرسين بدل ما أخلعه، فوافق، ودلوقتي الحشو طلع فتعبني!

الطبيبة: لو سمحت، هتعمل إشاعة بانوراما هنا جنبنا في نفس المبنى، وتيجي.

بربري: حاضر.

***

راح بربري، ودفع خمسين جنيه في الخزنة وعمل أشعة بانوراما للضرس، وأخدها على أسطوانة، ونقل صورة على الموبايل بتاعه،

وبعدها رجع: اتفضلي يا دكتور.

الطبيبة: كده ده ضرس عقل مدفون ومايل تمامًا، وأخره في بداية الضرس التاني، يعني محتاج جراحة، ممكن ياخد حوالي غرزتين أو تلات غرز.

بربري: زي بعضه، توكلي على الله.

الطبيبة: لا يا فندم، أنا هديلك جواب تحويل، وتروح للمستشفى التانية؛ لأنهم متخصصين في الجراحة، وأنت كمان محتاج تقويم لأسنانك؛ علشان تكون متساوية.

بربري: التقويم ده صعب؟ محتاج جراحة برضه؟

الطبيب: لا، ده جهاز هتقعد عليه وهيظبطلك كل حاجة.

بربري: طب تمام.

ولأن بربري ما كنش مستعد للجراحة، قرر يكتفي إنه ينظف أسنانه، فراح القسم المختص في الدور الرابع، وسجل اسمه، لكن المفاجأة إنهم قالوا له: هنتواصل معاك لما يكون الأطباء المختصين موجودين، وده ممكن ياخد شهر أو أكثر!

بربري سرح شوية في رحلته لحشو الضرسين وخلع ضرس العقل ما بين الوحدة الصحية في البلد، ثم قسم الأسنان في مستشفى المركز، واللي اكتفوا إنهم يصرفوا له مضمضة، ومفيش غير خلع، وحتى

المستشفى الجامعي ما فيهاش غير خلع! حاجة تحزِّن بجد! كل الأدوات دي ومفيش غير خلع! ده جدي حميد الله يرحمه كان يحط الخيط الحرير في ضرسه، ويرجع لورا مرة واحدة، فيخلع الضرس زي الحلاوة!

***

بعدين فكر في والده اللى عاوز يركّب طقم أسنان، فحب يسأل، وعرف إنهم إجازة السبت والجمعة، وبعدين تذكر لما قرأ إعلان عن تركيب طقم أسنان مجانًا اللي إدهوله أستاذ عباس، واللي كان عارف إن أبوه محتاج يركب طقم، فخد كمان عمه عبد اللطيف ابن عم والده، وعمه حمادة بن خالة والده، وعمه سعيد بن خالة والده برده، واللي محتاجين يركبوا طقم أسنان.

تواصل مع الطبيب أرميا اللي أخذ رقمه من أستاذ عباس، وده شاب محترم، كان طالب في سنة تالتة طب، وعرف منه إنهم بيركبوا طقم أسنان مجاني؛ لأنهم في فترة تدريب، ومحتاجين ينفذوا عملي.

***

رجع يوم السبت بعد ما اتفق مع الطبيب، وراح هو وأبوه وعمه عبد اللطيف، واتفق معاه إنهم يكونوا موجودين يوم الاثنين؛ علشان أستاذهم الكبير الاستشاري يكون موجود.

وفعلًا راحوا يوم الاثنين ومعاهم الحاج حمادة ابن خالة والد بربري.

بدأ بالحاج عبد اللطيف؛ لأنه ما عندوش أسنان أساسً، وكان مركب طقم قديم لكن ما كنش مضبوط، وكان بيقع على طول، فحب يعمل طقم تاني أفضل منه.

عدت أول ١٠ دقائق، والطبيب أرميا المسئول عن حالة الحاج عبد اللطيف بياخد المقاسات، والحاج عبد اللطيف مضايق، وبعدين الطبيب ابتدى يتوتر وإيديه تتنفض، فقال: يا عمي عبد اللطيف، الله يهديك، اصبر شوية، مش كده!

والحاج عبد اللطيف كل ما يحطله العجينة، ويقله اضغط عليها يتعفرت، والعجينة لونها أبيض بهدلت الشاش بتاع الحاج عبداللطيف، والشاش هو قطعة قماش بيضاء طويلة حوالى اتنين متر أو متر ونص بتتربط كعمة على الرأس.

مرت أول نصف ساعة، وبعدين قرر الحاج عبد اللطيف إنه ميكملش!

الطبيب: ليه يا عمي عبد اللطيف! الجلسة خلاص قربت تنتهي، اصبر شوية!

الحاج عبد اللطيف: والله ما أنا صابر! ليه يا خوي، قالوا لك عليَّ حقل تجارب! لا يا حبيبي، ده أنا بعض باللثة بتاعتي ولا عضة الوحش للعضمة.

الطبيب "بضحكة": طب اصبر بس شوية بسيطة!

عبد اللطيف: اللهم طولك يا روح!

الطبيب: يلا افتح بؤك، وريني أما شوف اللثة بتاعتك؛ علشان أظبط المقاس الأخير.

عبداللطيف قام عاضض صباع الطبيب، فجاتله حالة ضحك هيستيرية هو والأطباء اللي معاه!

قام الدكتور سأله وهو بيضحك بشدة: ليه كده بس يا عمي عبد اللطيف!

الحاج عبد اللطيف: علشان تعرف إن اللثة بخيرها، وإن الطقم اللي هركبه كماليات مش أكتر، وكمان عشان أعرف أضحك كويس، لكن ورحمة أبويا ما أنا مركبه.

ابتسم الجميع، وغادروا المكان وهما بيضحكوا، وبربري وأبوه والحاج حمادة قالوا في نفس واحد: الله يسامحك؛ عطَّلت المراكب السايرة!

عبد اللطيف: يا راجل! يعني مش فاكر أنت وهو الحاج محمود أبو الأطرش كان بسم الله ما شاء الله بياكل ويقزقز لب كمان على ضراضيره "اللثة"!

يضحك الجميع وبصوت هادئ يقول الحاج حمادة: فعلًا، لكن برده

إحنا محتاجين نعلم أولادنا إزاي يحافظوا على أسنانهم، أنا فاكر المرحوم أبويا ما كنش يسيب السواك، ومات وأسنانه زي الفل، وما خلعش ولا ضرس.

***

بربري: تعرفوا إن السبب في ضياع أسنانا هو كسلنا في الاهتمام بيها! يعني لو كنا بنزور الطبيب؛ علشان ننظف الطبقة الجيرية كل ستة أشهر على الأقل، كانت أسناننا هتكون أفضل، كمان استعمال خيط الأسنان؛ للتنظيف ما بين الضروس؛ لأن وظيفة ضرس العقل هو إنه بيضغط على الضروس والأسنان فما يكنش في فراغات، وطبعًا لأن أغلبنا بيخلعه، فبيكون في فراغات، وبالتالي الضروس بتصحف وتملي الفراغات دي، ومن هنا بتتكون حاجة زي الجيوب بتتحوش فيها بقايا الأكل، وبتعمل روائح كريهة، وكمان بتؤدي للتسوس!

الحاج حمادة: طب الواحد يعمل إيه يا ولدي في الموقف ده؟ قلِّنا؛ علشان نفهمّ عيالنا، وما يبقوش زينا!

بربري: زي ما بقولكم، يهتم بأسنانه، ويستخدم خيط الأسنان مع الفرشة والمعجون، وممكن كمان سواك، ويا ريت لو مضمضة، كمان ممكن يشرب مشروبات مطهرة للفم ومفيدة زي القرنفل والنعناع.



رجع الجميع للبلد، وفي أثناء العودة قابل الحاج حمادة زميله في الكفاح والعمل "الحاج عبود"، حيث كانوا زمان في الغردقة، كل واحد منهم معاه عربية ربع نقل بيشتغلوا بيها في الموقف، وكانت الأمور ماشية وزي الفل، الغريبة إن الحاج عبود اللي كان يشوف الحاج حمادة ويرد عليه السلام من بعيد بمجرد ما يشوفه، إلا إنه المرة دي مشي على طول من غير ما يرد السلام!

الحاج حمادة ينادي بصوت عالٍ: يا حاج عبود!

يسمع الحاج عبود، فينتبه، ويرجع: أهلًا يا حاج حمادة! أخبارك إيه؟

الحمد لله.

عبود: معلش يا حاج حمادة؛ كنت مشغول بحاجة فما خدتش بالى منك، سامحني يا خوي!

الحاج حمادة: ولا يهمك يا غالي.

دار بينهما حوار صغير، كلٌّ منهم تعرَّفَ واطمأنَّ على أحوال الآخر، ثم ذهبَ الحاج عبود، وهنا سأل الحاج عبد اللطيف الحاج حمادة: يا أخي، واحد ما عبّركش ومشي على طول، ما كانش لازم تكسف نفسك وتنادي عليه! يعني صح مش شايفنا! طب ما عينه كانت في عيني، إزاي ما شفناش! يا راجل، بلا كدب! دي قلة ذوق!

الحاج حمادة: يا حاج عبد اللطيف، أنا سمعت قصة من عمي الشيخ

زهران من يومين في خطبة في الجامع عن واحد اسمه إبراهيم بن أدهم، وده كان عالم كبير، ويعتبر واحد من كبار أهل التصوف والسُنة.

القصة كانت بتقول إن في واحد من معارفه مر على إبراهيم بن أدهم وجماعة معه، ثم لم يرد السلام عليهم، فتعجب الناس، أما إبراهيم بن أدهم فالتمس العذر له، وقال: ربما يكون عنده عذر، فتحدث إلى الرجل، فعلم أنَّ زوجتَه جاءها المخاض "بتولد"، وما معهوش أي مال أو قوت، هنا قرر إبراهيم بن أدهم يساعده، فأخذ دينارين، فاشترى بدينار عسلًا وزيتًا ودقيقًا، وراح لبيت صاحبه، ثم وضع الحاجات اللى جابها على الباب، وفوقهم الدينار التاني، وخبط على الباب، وأول ما قالت زوجة صاحبه اللي بتولد: مين بالباب؟

قال لها: إبراهيم بن أدهم، في حاجة ليكم على الباب، خديها.

ولما فتحت الباب، ووجدت الحاجات اللى تركها، قالت: يا رب، اللهم لا تنسى لإبراهيم بن أدهم هذا اليوم.

الحاج عبد اللطيف: والله قصة حلوة، صح، إحنا ساعات كتير مش بنحس ببعض، يلا، ربنا يهدينا، ويصلح حالنا.

***

بعد رحلة طويلة لحشو الضرس في المستشفيات العامة والحكومية، وماحصلش نصيب؛ لأنهم مش بيحشو، قرر أستاذ بربري أنه يكتفي

بأنه يحشي ضرسه قرنفل في الفراغات؛ علشان ياكل التسوس اللى فيه وينضفه، وكمان اعتمد على مضمضة؛ علشان تطهر الأسنان، وقرر يهتم بأسنانه، ويستعمل السواك بعد ما نصحه به الطبيب؛ لأن الفرشة والمعجون مش بيوصوا لبين الأضراس والأسنان، ولحد دلوقتي ما قلعش الضروس ولا حشاها كمان، وكل ما يؤلمه يديله رشة بنج من اللي اشتراه، وسبحان الله، كل ما يحوش تمن الحشو اللى يعدي ٩٠٠ جنيه، تحصل حاجة تاخد الفلوس، ويرجع تاني يتكيف مع الألم!

واللي بيوجع الأستاذ بربري أوي كل ما يشوف ابنه محمد وأسنانه وضروسه اللي تقريبًا معظمها مسوس، وعلشان هو طفل اضطراب طيف التوحد، ومصنف اسبيرجر "من القادرين باختلاف"، ومتلازمة اسبيرجر تسمى بمتلازمة الموهوبين، وعلشان حالته كانت صعبة شوية؛ حيث إن عنده مشاكل كتير، ومنها الفك بتاعه ضعيف، ولما وداه للطبيب، قال كده، وقال كمان: ما ينفعش يخلع له أسنانه أو ضروسه، وإنها هتتغير وتتبدل بأسنان وضروس أحلى، بس أنت عليك تهتم بيه كويس، وتأكله بيض وتشربه لبن.

سرح الأستاذ بربري، وتنهد كالعادة، ودار حوار بينه وبين نفسه كالتالي:

يا رب، أنت عالم إني بلا حول ولا قوة، والقرشين اللي بكسبهم من البيع المتجول في المواسم يا دوب بيكفُّوني أنا والعيال، فبنمشي ناكل أي

حاج، ونشرب أي حاجة، ومبسوطين.

يا رب، ده حتى الكهرباء من يوم ما بقت بالكارت وأنا بشغَّل لمبتين ومروحة وتلاجة كحد أقصى، وبنام في الضلمة؛ علشان نوفر، ده أنا يا رب لا جايب تكييف، ولا سخان، ولا حتى مراوح نقالة، يا دوب مروحة سقف؛ علشان أوفر في الكهرباء.

يا رب، أنت شايف مصاريف المدارس عاملة إزاي! ولو عيل تعب بستلف؛ علشان أوديه للطبيب، طب أجيب منين!

يا رب، أنت عارف إن نفسي عزيزة أوي، وبكون مقهور لو قلت لحد سلفني قرشين، ببقى مكسوف، ووشي يحمر، وأحس إني عملت غلطة عمري!

يا رب، أنت شايف وعالم إني ما كنتش عاوز آخد قبض تكافل وكرامة، لكن لولا العوزة والحوجة ما كنتش قبلت آخد القبض ده؛ لأني حاسس إني عالة على بلدي!

يا رب، ده محمد مصاريفه قد القبض ٣ مرات، ومصاريف بيتي قد قبضي مرتين، يعني لما أحسبها بستغرب ماشية إزاي! لكن برجع، وأقول البركة، الحمد لله.

يا رب، لك الحمد والشكر.

***

محمد بربري طفل جميل، عنده متلازمة الموهوبين _اضطراب اسبيرجر_، هو في المرحلة الابتدائية في الصف الثاني الابتدائي، ولأنه طفل مميز، قرر الأهل يساعدوه، ويدخلوه دمج، وده بتعاون مع الحكومة، واللي قدرت تتعرف على حالة محمد المتميزة، وده كان برنامج موضوع من الحكومة منذ عهد الرئيس مبارك، وكانت وزارة التضامن بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم وباقي الوزارات كالتعليم العالى يهتموا باكتشاف الحالات اللى زي محمد من ولادتها وحتى وفاتها؛ لأن منهم عباقرة زي أينشتاين اللي بيُقال إن كانت عنده المتلازمة دي.

المشكلة كانت تتبلور في إن محمد لديه قدرة كبيرة على الاستيعاب، لكن قدرته على التعبير ما كنتش قوية، وكان فيها خلل، ما كنش يحب التفاعل ولا التواصل إلا مع عدد محدود من أقاربه زي والده ووالدته، وبعض أخواله، محمد بالرغم إن قدرته على الاستيعاب والفهم والإدراك لكل اللي حواليه قوية، إلا إنه كان بيعاني من الأساليب التقليدية في الشرح، كان شايف نفسه مميز ومختلف عن غيره، بس تميزه ده كان بالنسبة له شيء محفِّز، مكانش فاهم إن تميزه هو إنه صاحب قدرات أقل زي ما زمايله شايفينه، والكثير منهم بيضحك عليه!

هنا الأساتذة قرروا يساعدوه، وينمو فيه القيادة والدافعية والمشاركة، طول الوقت الكل بيحمسه إنه يشارك؛ ولأنه كان عنده القدرة على التحليل والفهم، وعنده ملكة الحفظ كمان، فهو فعلًا أصبح مميز.

وفى أحد المرات أحد أساتذته ألقى سؤال عليهم، فرفع إيديه، وفجأة الفصل كله ضحك عليه وكأنهم بيقولوا: ده غبي وضعيف الذكاء.

هو حس وشعر بكده كمان، وده خلاه يحس بالخزلان والضيق، واللى عانى بسببه كتير من الناحية النفسية؛ لأن محمد حساس زيادة جدًا.

في اللحظة دى قرر الأستاذ يساعد محمد، ويعرفه إنه مميز فعلًا، فخرج بره الفصل، وبعدين نادى على محمد: محمد بربري!

محمد: أيوة يا أستاذ.

الأستاذ: تعالَ يا حبيبي، هبعتك مشوار.

محمد: حاضر.

الأستاذ: بص يا محمد يا حبيبي، إحنا هنتفق مع بعض على حاجة، تيجي أديلك مسالة، وإزاي تحلها، وتحفظها، وبعدين أنا هكتبها على الصبورة وكأني ما قلتلكش حاجة، وتجاوب أنت، إيه رأيك يا بطل؟

محمد بحماس شديد: تمام.

أعطى الأستاذ الورقة اللى فيها المسالة لمحمد، وشرِحها له بالراحة، وقال له: روح هات البشاورة من الفصل التاني، وتعالَ.

"البشاورة: هي إسفنجة كان يُمسح بها الطباشير المكتوب على السبورة".

فعلًا محمد فهم المسألة الحسابية البسيطة، وحفظها صم، بعد كده أول ما رجع الفصل، قرر إنه يشارك فعلًا وهو متحمس.

الأستاذ: بصو يا حلوين، أنا هكتب مسألة في الحساب دلوقتى، وعاوزكم تحلوها.

كتب الأستاذ المسألة، واللي كانت عبارة عن جمع وطرح وقسمة، بعد كده طلب الأستاذ إن اللي عارف يحلها يرفع إيده، فكان محمد أول واحد يرفع إيده، فالكل يبص على محمد، ويضحك!

الأستاذ: اتفضل يا محمد.

محمد جاوب المسألة، فطلب الأستاذ من كل التلاميذ إنهم يصفقوا لمحمد اللي كان طاير من الفرحة وكأنه حقق أكبر إنجاز في حياته.

***

محمد كانت له نظرة مختلفة للحكم على الأشياء من حوله؛ بيحب يستمع أوي، خصوصًا لحكايات وقصص أبوه، واللي منها قصة سيدنا يوسف تحديدًا، وكان بيشعر إنه مكان سيدنا يوسف، وإن أهله رموه في البئر العميق، وحد خده على مصر إلى نهاية القصة، محمد مش عارف ليه بيشوف نفسه مكان البطل في أي قصة إلا لو كان البطل شرير، فما كنش يُفضّل صاحب الشخصية الشريرة!

ولما نتكلم عن الشر، فهو اتعرض لأذى كتير من كل أنواع الأذية،

وكان دايماً يبقى محصور ما بين أمرين مش بيحبهم: وهو إنه يرد الإساءة بإساءة زيها، أو يسكت وما يتكلمش كعادته!

الأمرين كانوا صعبين عليه، صحيح هو بيقدر يرد الإساءة، بس كمان لما يغلط في حد غلط فيه هو بيندم ندم كبير، وممكن ياخد معاه شهور يفضل يؤنب في نفسه؛ لأنه سمع الشيخ فتحي شيخ قريتهم في مرة بيتكلم عن التسامح، وإن ربنا بيحب العفو، وعلشان كده قرر يعفو ويسامح، لكن برده أثر الشتيمة أو الإساءة اللى بيتعرض لها من أي نوع كانت بتتعبه نفسيًا، وبيكون نفسه يرد، لكن تمسكه بالدين يمنعه، ورغم صغر سنه إلا إنه كان لما يسمع حاجة من حد كبير على طول يفهمها ويحفظها.

محمد كان كثير الاختلاء بنفسه، وطول الوقت يسأل نفسه أسئلة كتير عن كل حاجة بدور حواليه ليه! وإيه السبب! في مرة الأستاذ طلب منهم يكتبوا الدرس ١٠ مرات، محمد فضل يبص في الدرس، ويسأل نفسه: هو إيه اللى في الدرس مفيد علشان نكتبه ١٠ مرات! وحتى لو مفيد طب إيه الفايدة من كتابته ١٠ مرات! كان يتغاظ جدًا من إنه يعمل شيء مش فاهمه، والأستاذ كان يضايق من كثرة الأسئلة، وهو كمان ما كنش يحب يتكلم كتير ساعتها.

لمّا كبر محمد فهم إن المقصود من الكتابة الكتير إن خطه يتحسن، ولمّا خلص الجامعة اكتشف إنهم كانوا بيعملوا كده؛ علشان ينمُّو عضلات

اليد الدقيقة.

خلص محمد الابتدائية، واللي اتدرب فيها كويس إزاي يبادر ويشارك مع غيره، وكمان يقدر يتكيف في أكتر من مكان، وعلشان كده تم نقله لمدرسة تانية؛ وده بعد ما بيتهم اتهد لمّا السيل نزل بلدهم، وقرروا يسكنوا في القرية اللي عملتها الدولة، واللى كان فيها المدرسة بتاعته.

طبعًا محمد كان متأثر جدًا، ومتعلق بأساتذته وزمايله في المدرسة الأولى، ولمّا راح المدرسة الثانية اللي في القرية كان أحيانًا يبكي من شدة شوقه وحنينه للمدرسة الأولى، ولمّا اتكيف مع المدرسة التانية وحبها، لقى نفسه بسرعة خلّص، ورايح المدرسة الإعدادية، وهنا تكررت الأزمة؛ أصل محمد له ارتباط مع الأماكن، وبعض الناس اللي يعرفهم ارتباط مختلف عن أي حد، كان يعشق أي مكان قضى فيه فترة كبيرة، وكانت فترة كويسة ما تعرضش فيها لضغوط وكره، أو كان الكويس فيها أحلى وأكتر من الوحش، سواء أماكن أو علاقات.

***

بمناسبة العلاقات، كان محمد يكره السلوك مش الشخص، ويسامح أي حد يعمل معاه غلط، لكن يكره إنه يتعامل معاه مرة تانية، ولما تجبره الظروف على كده كان بيبكى من جواه، وما يحبش يظهر للي قدامه إنه كارهه؛ علشان ينال فضل قول الله: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

محمد محب للدين جدًا، كان وهو في الابتدائية يتحايل على أبوه؛

علشان يدخله أزهر، وأبوه كان يوافق ويقوله: استنى شوية يا محمد لمّا أسأل!

ومر الوقت وأبوه ما سألش وطنش، وكمل محمد في المدرسة مع إنه كان نفسه يحفظ القرآن، لكن اللي عطّله إن كان في كلمات وآيات مش فاهم معناها، فهو شايف إنه مش بغبغان يحفظ ويكرر من غير ما يفهم؛ لا، هو حابب يعرف المعنى الأول وبعدين يحفظ، وإن الفهم أفضل بكتير من الحفظ دون فهم، ولمّا كبر تمسك بده أكثر؛ لأنه عرف إن الحفظ بدون فهم قد يولد أخطاء؛ لأن صاحبه هيُسقط الآيات في غير مكانها، وبالتالي؛ هو مش هيكون خادم للدين وبينشر العلم.

محمد لمّا كان بيبكي، كان بكاؤه عجيب؛ كان يفضل يشهق شهقات متتالية لدرجة إنه مبيعرفش يسيطر على نفسه، ويوقف البكاء الشديد اللي هو فيه، وممكن ياخد نصف ساعة يشهق بعد ما يكون سكت وهدي؛ وده لأنه حساس جدًا، وأي كلمة ممكن تؤذيه وتجرح قلبه اللي مش بيحمل إلا الخير لكل الناس.

لحظات كتيرة يبص للسماء ويضحك بدون سبب، أو فجأة وهو بيضحك يفتكر موقف حزين، فيبكي، زي مثلًا إن حد ضربه وهو بيضحك، وقال له: عيب! فأول ما يضحك يفتكر ألم الضرب والكلام الوحش اللي كان أكثر من الضرب بالنسبة له، فيبكي محمد وكأن الجرح اتجدد تاني، سبحان الله!

ما كنش يحب يبص لحد في عيونه، ولما كان بيبص في السماء كان يعد النجوم، ويعجبه أوي زرقة السماء، وشايف إن لونها جميل، وكان يبص للقمر الأبيض ليلة البدر، ويتخيل نفسه وهو فوق القمر زي رواد الفضاء اللى شاف صورتهم في الكتاب، ويفضل يسأل نفسه: إزاي ممكن يطلع القمر زيهم؟ وفجأة نور القمر الشديد ينعكس على عينه، ويشعر وكأن القمر بيقرب منه لدرجة إن النور كان بيزيد، وهو بيشعر بكده، فيغمض عيونه من شدة ضوء القمر!

أما عن اللعب، فكان محمد بيحب يلعب لوحده، ويستمتع بكده، لكن مع ضغط الأهل وتشجيعهم المستمر، كان بيضعف ويضطر يلعب مع قرايبه: أولاد أعمامه وعماته، وأحيانًا بعض أولاد خالاته، لكن الغريب إن محمد كان شايف نفسه مميز عليهم كلهم ومختلف، وإن تميزه للأفضل، فكان شايف إن كل اللى حواليه أقل منه ذكاء، معزور؛ ما كنش يعرف إن ده كله مصطنع ومقصود؛ علشان يتشجع ويستمر في التقدم نحو الأفضل!

كان في مشكلة مع محمد، وهي إنه لما يتمسك بحاجة أو يقتنع بشيء، بياخد وقت كبير على ما يغيره؛ لأنه كان روتيني جدًا، وما يحبش يغير الشيء اللي بيحبه أو متعود عليه، ومن أمثلة ده إنه ما كنش يحب الكلام خالص، وعلشان هو بيحب التشجيع جدًا، ودي كانت نقطة ضعفه واللي اشتغل الأهل والمدرسة عليها، والغريبة إنه لما اتشجع وبقى يتكلم

بقى رغاي جدًا!

وده بيرجع لسببين: الأول: إن محمد عنده فرط حركة، فبيعمل له طاقة زيادة، والطاقة الزيادة دى يستلزم تفريغها بطرق سليمة زي الرياضة المختلفة: كالجري، وألعاب القوى، وألعاب وتمارين التركيز الذهني، والسبب الثاني: إن محمد لغته الاستقبالية أكتر من لغته التعبيرية، يعني بيكون صعب عليه إنه يعبر، فلمّا يعبر عن شيء خصوصًا لو مطلوب منه يتكلم في وقت قصير، بيتلخبط ويحس إن في صعوبة إزاي يلخص كل التفاصيل دي في وقت قصير! وده لأن محمد كطفل توحد أسبيرجر بيبقي مهتم بالتفاصيل، فلو سقطت منه تفصيلة صغيرة، ممكن ما يقدرش يكمل وكأنه بيحفظ الأحداث بكل تفاصيلها!

ولمّا يخلص كلام بيرجع يندم جدًا إنه اتكلم، خصوصًا لو أخطأ في كلمة أو تعبير، وحد فهمه غلط، واللى بيخليه يضايق أكتر لما يبص في وش حد بيكلمه، ويلاقيه ضارب بوز أو مكشر، لحظتها محمد بيفضَّل إنه يسكت وما يكملش، وطبعًا سكوته ممكن ما يوصلش المعنى كامل، لكنه بيفضَّل إنه يسكت على إنه يكمل كلام مع حد مش معبره، وبيندم إنه اتكلم معاه من الأساس.

عند محمد قدرات غريبة، وفي قدرات سبحان الله عكس بعض تمامًا! زي مثلًا إنه ممكن يتكلم ٣ ساعات، أو يمشي، أو يجرى لمدة يوم كامل، أو يعتزل الناس ويقعد لوحده شهور، وكل ده بدون ما يمل أو يضايق،

يمكن بيضايق أكثر لما يتكلم، وكل يوم يمر عليه ما يتكلمش فيه بالنسبة له يوم عيد وفرحة، وبيشعر بالإيجابية في الوحدة، علشان كده لمّا كبر، وراح الثانوية العامة، قرر يعتمد على نفسه؛ لأن في الابتدائية والإعدادية كانت بنت عمه الكبيرة "تقوى"، واللي كان بيقول لها يا أختي هي اللي بتذاكر له، وبرغم حبه واحترامه لأخته الكبيرة "تقوى" إلا إنه بقى يتكسف منها إنه بيعطلها؛ فقرر يعتمد على نفسه، ويذاكر لوحده.

***

يوم ما اعتزل الناس وبقى لوحده، حب وحدته لكن بقى في عيب ملازمه طول الوقت، وهو إنه رغاي كتير جدًا؛ بيتكلم أي كلام، مش بيهدأ إلا لمّا يتكلم كتير، ولما كبر، وخلص الثانوية والكلية، فهم لمّا أحد أساتذته قال في كتاب الصحة النفسية: وسائل التعبير عمّا في النفس كتيرة جدًا، والكلام واحد منها وأقلها، فحاول إنه يكون حريص إنه يدور، ويشوف إيه الوسيلة الأنسب له غير الكلام، فعرف إن الشعر كمان وسيلة حلوة نعبر به عما بداخلنا، والكتابة زي كتابة القصص والروايات، وممارسة الرياضة بتساهم كتير في تفريغ الطاقة، سواء الرياضة اللى فيها حركة، أو الصفاء الذهني، وكمان المشي حافي القدمين على التراب؛ لأنه بيمتص الشحنات السلبية من الجسم.

***

عاد محمد للصمت مرة أخرى، وقرر أن يعيش في توحده وخلوته

أفضل من أن يعيش في عالم كلما اختلط بأعضائه، تعرَّض لإيذائهم وشرورهم، كان يرى أنَّ في الخلوة فرصةً للراحة والسكينة، والتزم بالتسبيح والصلاة على النبي حتى أنه كان كلما زاد في الصلاة على النبي _صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم _، شعر بأن في ريقه طعماً حلوًا أجمل من السكر وأحلى من العسل!

في إحدى المرات كان محمد في أسوان بالنوبة على النيل مباشرة ومعه صديقه أحمد، فقرر إنهم يكتبوا الصلاة على النبي _صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم_ في ورقة، ويضعوها في علبة أسنان القلم الرصاص، ثم يدفنوها في قاع النيل؛ علشان ياخدوا ثوابها، وإن في ملك بيسبح لهم طالما الورق ده موجود.

وبالفعل، نزل محمد لقاع النيل مع أحمد؛ حيث كان الاثنان يعشقان السباحة في النيل، وكان محمد محبًا للغطس أكثر، فقرر أن يغطس لأعماق النيل، وبالفعل، وضعها بين صخرتي جرانيت بأعماق النيل.

من أكثر الأشخاص اللي ساهموا في تحسين شخصية محمد هو الأستاذ عباس، واللى كان دائما يمده بالمعلومات الإيجابية، ويُجيبه على أسئلة كثيرة كانت تدور في ذهنه، كمان كان يقرأ له العديد من القصص والحكايات؛ من أجل تنمية مداركه ووعيه.

(١٠)

مصر منصورة.

أستاذ عباس في المنزل: صباح الفل يا ناهد.

ناهد: صباح السعادة يا عباس، إيه! أنت مش رايح المكتبة النهار ده ولا إيه؟

عباس: لا، هقضيه معاكِ، وأهو فرصة، العيال مشغولين في كلياتهم، ونقعد أنا وأنتِ مع بعض يا جميل.

ناهد: عيب يا بيسو! إحنا كبرنا على الكلام والدلع ده!

عباس: كبرنا إيه يا نهود! ما أنتِ لسه قايلة: يا بيسو! هو بيسو ده مش دلع برده!

يبتسم عباس، وتبتسم ناهد، وتقول: طب يلا، الفطار جاهز، إلحق اليوم من أوله، ده الساعة داخلة على ثمانية ونصف!

عباس: حاضر يا نهود، هاتيلي بس التيليفون أمّا أكلم الأولاد في المكتبة؛ علشان خالد يروح يفتح بدل ما الولد رمزي المرعوش يبهدل الدنيا، أنا عارفه ما عندوش صبر! في مرة كسر الباب، ودخَّل إيده،

وفتح الترباس من جوه، ودخل المصيبة ده!

ناهد: حاضر، اتفضل، التيليفون أهو.

كلم أستاذ عباس خالد، وقال له إنه مش هيقدر يكون في المكتبة النهار ده، وإنه يروح يفتح هو ورمزي.

***

يفتح الأستاذ عباس التيليفزيون على خبر حبيبه الرئيس عبد الفتاح السيسي وهو بيزور مسجد سيدنا الحسين _رضى الله عنه وأرضاه_.

ناهد: حبيبك أهو، عمّال ٢٤ ساعة تكلمنا عنه وعن إنجازاته.

عباس: ياه يا ناهد! دي زيارة الرئيس لمسجد سيدنا الحسين والاهتمام بتعمير المسجد شيء طيب جدًا.

ناهد: فعلًا يا عباس، آل بيت النبي _صلى الله عليه وسلم_ والأولياء دول اللي ربنا حافظ مصر ببركتهم.

ألّا إيه قصة مجيء رأس سيدنا الحسين لمصر والسيدة زينب، وهل الجسد الشريف موجود برده هنا يا عباس في مصر؟

عباس: اسمعي بقى يا ستي الحكاية من أولها.

ناهد: قول يا حبيبي، أنا بحب أسمع منك أوي.

عباس: نبتدي بالسيدة زينب _رضي الله عنها وأرضاها_.

ناهد: شلاه يا أم هاشم!

عباس: السيدة زينب كانت معروفة عند أهل الجود والكرم بأم هاشم، وعند أهل مصر والسودان بالطاهرة، وعند أهل العزم والتصميم بأم العزائم، طبعًا هي أخت سيدنا الحسن والحسين، كان يرجع ليها الأئمة الكبار، وكمان أبوها سيدنا علي -رضي الله عنه-، وسيدنا الحسن والحسين في الرأي والمشورة، فسُميت صاحبة الشورى، ودارهم في المدينة المنورة كانت ملتقى الضعفاء والغلابة، فلُقبت بأم العواجز، واتحول بيتها في مصر لمقر الوالي، تُعقد فيه لقاءاته واجتماعاته تحت إشرافها، فعُرفت بـ "رئيسة الديوان".

ناهد: الله، الله، كمل يا عباس!

عباس: لما قامت واقعة صحراء ألطف أو معركة كربلاء، واستُشهد الإمام الحسين -رضي الله عنه-، وحدثت المأساة، وعانت السيدة زينب، ثم سألها الخليفة يزيد بن معاوية عن المكان الذي تختاره لإقامتها، فاختارت المدينة المنورة، لكن وجودها في المدينة خصوصًا إن الناس التفت حولها أخاف الخلافة الأموية، فأمرها والى المدينة بالرحيل عنها، تصوري اختارت إيه؟

ناهد: اختارت مصر!

عباس: براقوا عليكِ، أيوة صح، اختارت مصر؛ علشان تُقيم فيها؛ وده لأنها سمعت عن أهلها من محبة ووفاء لآل البيت، وأن مصر كنانة

الله في أرضه، ولمّا جات مصر كان معاها عدد قليل من آل البيت.

ناهد: رضي الله عنها وأرضاها، ألّا هي جات سنة كام يا عباس؟

عباس: جات مصر في شعبان عام ٦١ هجرية، يُقال بعد مُضيّ ٦ أشهر على مقتل الإمام الحسين، وخرج في استقبالها جموع هائلة من المسلمين، وحملوها في الهودج، وأوسعوا لهم في الكرامة، وعلى رأسهم والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري، ويُقال لمّا شافت الناس، والجمع الكثير، وفرحة أهل مصر، قالت: يا أهل مصر، نصرتمونا، نصركم الله، وآويتمونا، آواكم الله، وأعنتمونا، أعانكم الله، وجعل لكم من كل مصيبة فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا.

ناهد: الله أكبر، يا رب، آمين، فعلًا، مصر محفوظة ببركة دعائك يا طاهرة، طب وأقامت فين يا عباس؟

عباس: أقامت في بيت الوالي حتى تُوفيت يوم ١٤ من رجب عام ٦٢ هجرية، يعني بعد عام من قدومها إلى مصر، ودُفنت في بيت الوالي اللي اتحول لضريح لها.

ناهد: طب والرأس الشريف للإمام الحسين إمتى جه مصر؟

عباس: قيل إن الرأس الشريف له تلات مشاهد تُزار: مشهد بدمشق دُفن فيه الرأس أولًا، ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض (ميناء فلسطيني) نُقل إليه الرأس من دمشق، ثم نُقل إلى المشهد القاهري لمصر

بين خان الخليلي والجامع الأزهر، ويقال اتنقلت لمصر من عسقلان عام ٥٤٨ هجرية، يعني موجودة في مصر؛ علشان كده البركة في مصر ليوم الدين.

ناهد: آمين، يا رب، طب والجسد الشريف موجود فين؟

عباس: اتفقت أغلب آراء أهل العلم على إن الجسد دُفن مكانه في كربلاء، واختلفوا في الرأس الشريف، واللي ذكرته أكثر الروايات المعروفة والمشهود لها من الكثير من أهل العلم.

***

فتح خالد المكتبة في الموعد المحدد الساعة التاسعة صباحًا، لكن رمزي تأخر عن المجيء حتى الساعة العاشرة والنصف،

خالد: إيه يا رمزي تَوَّك جاي! اتأخرت ليه؟

رمزي: اسكت يا أستاذ خالد، حصل موقف أول مرة يحصل معايا!

خالد: خير يا رمزي! إيه اللي حصل؟

رمزي: ركبت العربية من البلد لدشنا زي الفل، وأنا راكب العربية من دشنا للمحافظة، لقيت واحد دقنه طويل جدًا زي الجماعة المشايخ اللى بيجوا في التيليفزيون، لكن كان فيه قشرة مانجو لاصقة فيه، وأول ما شديتها، دقنه طلع في إيدي يا أستاذ خالد، والناس اللى في العربية كلهم قعدوا يضحكوا، وأنا الوحيد اللي كنت مصدوم!

خالد: يا نهار من الضحك! والله أنت يا رمزي مسخرة، وهتفضل كده طول عمرك، وعملت إيه بعد ما اتصدمت؟

رمزي: لا، ده هو اللي عمل، طلَّع مطوة من جيبه، وغزني في جنبي، كان هيعورنى، وقال: أنت قصدها؟

أنا قلت له: لا والله يا باشا، أنا كنت بطلّع لك قشرة المانجو، وحقك عليّ ورحت مركبله الدقن تاني.

قام السواق وقف العربية، وقال له: انزل يلا أنا عارف الأشكال دى، يلا انزل!

قام ناغصني في جنبي، وقال لي: قول للسواق يطلع قدام شوية!

طلبت من السواق: أبوس إيدك، اطلع لقدام شوية.

وفعلًا، طلع قدام بعيد عن الكمين، ونزله.

قلت: الحمد لله إنه خلَّص مصر من البلطجية.

خالد: مصر محروسة يا رمزي الحمد لله.

رمزي: فعلًا يا راجل، بعيدًا عن الموقف اللي حصل، إلا إن ربنا بيحبنا فعلًا، تعرف! من كام يوم جبت بقرة من اللي بيوزعوهم في وزارة الزراعة، ما قلكش على الخير اللي بتجيبوا!

خالد: فعلًا، لبنها بيقولوا حلو وكتير، ولحمها كمان أكتر من البقر

والعجول العادية.

رمزي: طب بعيدًا عن اللحوم واللبن، تعرف إن البقرة أحن من البني آدمين!

خالد: إزاى يا رمزي؟

رمزي: لمّا البقرة اتعودت إني أنا أحط لها الأكل والشرب، تعرف أول ما أدخل عليها، وأحط لها الأكل، تفضل تلحس في وشي بلسانها نصف ساعة! وأنا أقول لها: خلاص كفاية يا بسبوسة! وهي ما تبطلش لحس! تحس إن وشي قرص عسل نحل! شوفت المحبة يا أخي! الأجانب حتى البقر بتاعهم بيفهم وعنده إحساس!

خالد: الله يعمر بيتك يا رمزي، هتموتني من الضحك!

***

راح رمزي للقهوة يجيب كوبايتين شاي، ولقى المهندس محمد أمين بيرسم الشحات اللي بيشحت أول الشارع.

رمزي: وه، وه! أنت بترسم الشحات يا فنان! وقعة مربربة!

محمد أمين: ليه بس يا رمزي! هو مش بني آدم زينا!

رمزي: إن كان عليه، فهو أكثر مننا؛ ده دخله يعدي ٣٠٠ جنية في اليوم يا عم الفنان!

حمامة: فعلًا، تعرفوا يا أخوانا! أنا كنت ساكن جنب جماعة شحاتين، ما قلكمش على اللي بيحصل! مرة حصلت معركة كبيرة، وطلعت أحجز بينهم، وبعدين عرفت إن المعركة على الإيراد اليومي، واللي كان متين وخمسين جنيه، وطبعًا الكبيرة كانت مستقليلاهم، وبهدلت البنت، والأغرب إنهم وهما راجعين لازم ياخدوا تاكسي، تحسهم بشوات مش شحاتين، بيظلموا الناس الغلابة اللي يستحقوا فعلًا، والغريبة إن في ناس مش من مصر؛ لأن لهجتهم مختلفة!

محمد أمين: تعرفوا أنا ليه برسم عمي عبيدو الشحات؟

حمامة: ليه؟

رمزي: قول يا فنان.

محمد أمين: علشان حصل موقف ظريف منه، كان في بنت بتبيع مناديل، واتنين من السواقين بيغلسوا عليها، شوية لحد ما البنت بكت من شدة غلاستهم، قام هو قايم، ودس الكيس اللى فيه الفلوس في جيبه، ونزّل رجله اللى كان رابطها، وعامل إنه عاجز، وزعق للشخصين دول، وقال لهم: أنتم لا ترحموا، ولا تخلوا رحمة ربنا تنزل! ومسك البنت من دراعها، وقال لها؛ ما تخافيش يا بنتي، ولو حد كلّمك، أنا جنبك هنا بشحت، في أى وقت نادي عليَّ بس وأنا أوضبهملك.

رمزي: فعلًا، فيها حاجة حلوة! حتى عمي عبيدو الشحات ما رضاش بالتحرش وقلة الأدب، والله، عمرانة يا مصر!

حمامة: بس تعرف يا هندسة إن الشحاتين ليهم فترة قلُّوا عن الأول، وبقوا يبيعوا مناديل وكتب، ومنهم اللى بيتاجر، نادر لمّا تلاقي حد زي عمي عبيدو ده!

محمد أمين: أنا نفسي الدولة تعمل مشروع للشحاتين وأطفال الشوارع، تعلّمهم صنعة وحِرَف، وتاخد إنتاجهم تبيعه، وتسوقه مقابل نسبة من الأرباح، وبكده نكون ضربنا عصفورين بحجر واحد!

رمزي: صح يا هندسة، أنا سمعت من أستاذ عباس إن زمان محمد علي باشا شاف عدد أطفال الشوارع كتير، فعمل لهم مدينة متكاملة، وعلّمهم حِرَف ولغات على يد أجانب، وأصبحوا بعد كده عنصر مهم من عناصر الإنتاج في البلد، وكل واحد منهم كان بينتج منتج معين، وكانت المنتجات الحرفية دي جودتها عالية جدًا، ليه يا هندسة ما نعملش كده مع الشحاتين ودور الأيتام!

حمامة: بس الشحاتين وضعهم يختلف يا رمزي، أنت شايف كل واحد في حتة، يعني إنهم يكونوا في مدينة واحدة وتجميعهم صعب!

محمد أمين: فعلًا يا حمامة، لكن ممكن يتعمل لهم مقر في كل محافظة يتعلّموا فيه، ويودوا فيه إنتاجهم، ويشتغلوا في بيوتهم، وممكن تبقى فترة تدريب بس، وبعد كده عربيات تعدي عليهم لحد البيت تستلم إنتاجهم بعد ما يتم تعليمهم، كل واحد حسب اهتمامه يختار صنعة أو مهنة زي الخياطة، والسجاد، وصناعة التحف، والهاند ميد، وغيرها كتير.

حمامة: وممكن كمان نصدرهم هما نفسهم بعد ما يتم تعليمهم وتدريبهم، ويكون فيه قانون يمنع الشحاتة ويعاقب عليها، خصوصًا دلوقتي عندنا تكافل وكرامة، ونعم كتيرة ما كناش نحلم بيها! والناس اللي بيشحتوا حاليًا معظمهم واخدينها مهنة ووراثة، وبيستسهلوها، وده غالبًا علشان قلة وعيهم وخبرتهم.

رمزي: فعلًا، ربنا يهديهم يا ولد عمي؛ لا أحسن دول مش بيشبعوا!

تعرف! عمي منعم كان بيحكيلى عن واحدة شحاتة عندنا في مركز دشنا، كل ما ينزل المركز يقابلها، ويديلها اللى فيه النصيب، وهو مفتكر إنها محتاجة فعلًا، وفي يوم وهو معدي في شارع بالمركز، لقى واحدة ذراعاها الاثنان مليانين غوايش ذهب، وطالعة من عمارة ولا كأنها في جاردن ستي، وقالت له: اتفضل يا عمي! عمي منعم أول ما بص عليها، وشاف الذهب والعمارة اللي طالعة منها، قال: يا خراب بيتك يا منعم! يا فلوسي اللي راحت!

حمامة "بضحك": واضح إن عمك منعم ده راجل طيب خالص يا رمزي!

رمزي: جدًا جدًا يا حمامة، تعرف إنه بيعشق مصر جدًا، وشايف إنها اتغيرت للأفضل، برغم إن في مشاكل كتير لكن بنتحسن، ومن يوم ما شاف الكباري اللي بقت كبري كل ٢٥ كيلو، والأول كان كل ١٠٠ كيلو، يقول: الله عليكِ يا مصر!

حمامة: فعلًا، كمان تبطين الترع ساعد جدًا المزارعين، وحسِّن المنظر العام يا راجل! دلوقتى الناس كل واحد بيته قريب من الترعة بيجيب الدكة بتاعته، ويخليها جنب الترعة، ويرقد عليها ويشم هوا نضيف، وفي اللى بيزرع حوليه شوية ورد وريحان ولا كأنه عايش على جزيرة في البحر!

***

الشيخ زهران: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أخباركم إيه يا أولاد؟

رد الجميع السلام: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

حمامة: اتفضل يا عمي الشيخ زهران.

الشيخ زهران: يزيد فضلك يا ولدي، طب إديني كوباية القهوة اللي بتعملها بإيدك اللي زي العسل.

حمامة: من عيونى يا مولانا.

الشيخ زهران: تسلم عيونك يا بني.

محمد أمين: يا مولانا، قبل ما تيجي كنا بنتكلم عن أصالة المصريين بكل فئاتهم، ورغم الصعوبات والمشكلات اللي بنواجهها إلا إننا مش بنتكسر أبدًا، وبنطَّور ونتحسن، وبلدنا مصر بتفضل منصورة رغم كل المشاكل، إيه رأيك يا مولانا في الكلام ده؟ شاركنا برأيك!

الشيخ زهران: يا ولدي، مصر عبر العصور بتثبت إنها بلد حمولة، والصبر من أهم صفات أهلها، والخير والبركة موجودين فيها مش بيخلصوا.

رمزي: صح يا مولانا، يعني في القرآن ربنا ذكر إن مصر مميزة بالفول والعدس والبصل.

الشيخ زهران: طب العدس والبصل ماشي، الفول جبته من فين يا رمزي يا ولدي؟

رمزي: مش قال: {وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} يا مولانا! والفوم يعني الفول، صح؟

الشيخ زهران: لا يا ولدي، الفوم يقصد به الثوم، وأزيدك كمان إن مصر بخلاف إنها مميزة في زراعة الثوم والعدس والبصل، إلا إنها كانت مميزة في زراعة القمح لدرجة إن كان بها خزائن الأرض كلها في عهد سيدنا يوسف، ودي ميزة كبيرة لبلدنا.

حمامة: أيوة، صح يا مولانا، والحمد لله دلوقتي عندنا صوامع للقمح، وتم استصلاح ملايين الأفدنة؛ علشان نحقق الاكتفاء الذاتي من القمح، ومين عارف! ممكن نصدر كمان والظروف اللي بيمر بها العالم باستمرار ونقص الغذاء وخصوصًا القمح يخلينا من أكثر الدول المصدرة للقمح.

الشيخ زهران: بمناسبة القمح، تعرف إن زمان لما جات الدولة الفاطمية وحموا مصر، أرادوا إنهم يشيعوا مصر والمصريين، يعني ينشروا التشيع، وبنوا الأزهر الشريف؛ لتحويل عقيدة أهل مصر؛ لأنهم عارفين إن المصريين بيحبوا آل البيت، فقالوا نستغل حبهم لآل البيت، ونحوهم لشيعة، وكانوا من أشد أنواع الشيعة (الشيعة الباطنية)؛ كانوا يلعنوا ويسبوا في الصحابة.

رمزي: لا حول ولا قوة إلا بالله! الله يلعن اللي يلعن.

حمامة: كمل يا مولانا.

الشيخ زهران: تعرفوا إنهم علقوا في جدار القبلة بالأزهر لوحة عند المنبر، وكتبوا عليها "من لعن وسب فله دينار وأردب"! والدينار يقصد به دينار ذهب، والأردب يعادل ٣ شكاير قمح، أو حوالي ١٥٠ كيلو جرام من القمح.

رمزي: يا أولاد الذين! بيستغلوا فقر الناس وحاجتهم!

الشيخ زهران: أيوة، صح يا رمزي، لكن لم تُسجل ولا حالة واحدة لعنت أو سبت أحد الصحابة أو التابعين، وهي دي مصر؛ حولت الأزهر لمنارة للعالم كله، وأصبح الأزهر سرح ومرجع لأهل السنة في العالم كله.

محمد أمين: الله أكبر! ربنا يحفظ بلدنا من كل شر.

***

رمزي: أما ألحق الأستاذ خالد؛ لا أحسن هيبهدلني! سلام يا حبايب.

محمد أمين: مع السلامة يا رمزي.

حمامة: لكن، قل لي يا شيخ زهران بما إن بلدنا حلوة ومحفوظة، وده صحيح، لكن ليه الجيل ده بقت أخلاقه زفت! ومن يوم ما انتشر النت، والموبايلات بقت مع العيال، الإنتاج قل، ومحدش بقى يسعى زي زمان على الشغل، والسهر زاد، وتعاملهم حتى مع بعض ما بقاش زينا إحنا أيام زمان!

تعرف يا مولانا! روحت البلد يوم الجمعة، وأنا ماشي ألاقى العيال الصغيرة بتلعب كورة في الشارع، وأول حاجة لما الواحد فيهم يتنرفز يسب الدين بصوت عالي، وكأن ما حدش قال له: كده حرام!

الشيخ زهران: طبعًا الموضوع ده حرام شرعًا، وعلشان كده محتاجين وعي وتثقيف للناس، وإنه يرجع دور الأسرة أوي زي الأول.

يا حمامة، النهار ده تلاقي الأم والأب يتخانقوا على أقل سبب، ويطَّلقوا، ويرموا العيال يتربوا في الشارع! ربنا يصلح الحال يا بني.

جاء إلى القهوة الأستاذ بولس المحامي: السلام عليكم.

رد الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

حمامة: كويس إنك جيت يا أستاذ بولس؛ علشان تقول لنا إيه رأى القانون في حكم سب الدين!

بولس: يا ستَّار! ليه كده بس! هو مين سب الدين!

حمامة: لا، كنت بتكلم مع عمي الشيخ زهران على العيال اللي في القرية، وإن أخلاقهم ما بقتش زي زمان، وإن في منهم كتير بيسبوا الدين!

بولس: صحيح، وده القانون جرَّمه، وسماه ازدراء الأديان، ويُعاقب المتهم بازدراء الأديان السماوية وتحقيرها بالحبس مدة لا تقل عن ٦ شهور، ولا تزيد عن ٥ سنوات، أو بغرامة مالية لا تقل عن ٥٠٠ جنيه، ولا تزيد عن ١٠٠٠ جنيه.

حمامة: الله أكبر عليك يا أستاذ بولس! لكن للأسف، ما فيش حد بيبلغ عن العيال دي ولا أهليهم! تحس إنهم واخدينها بالوراثة، العيل يطلع يلاقي أبوه بيسب الدين، فيعمل زيه! معقول هما دول ولاد مصر اللي رفضوا يسبوا الصحابة، وياخدوا دينار وأردب في عز احتياجهم، ودلوقتي يطلع منهم اللي يسب الدين! دي مشكلة كبيرة والله.

بولس: فعلًا يا حمامة، وأرجو من ربنا إن القانون يُطبَق في القرى والمدن، وأي حد يشوف حد بيسب الدين سواء مسلم أو مسيحي، يبلغ على طول؛ علشان تتَّاخد ضده الإجراءات اللازمة.

إحنا فعلًا محتاجين الأخلاق هي اللي تسود زي زمان، وإن شاء الله مصر بخير يا حمامة، هي بس ثقافات داخلة علينا، والإعلام خصوصًا الدراما والأفلام لها دور كبير في نشر البلطجة والسب والشتايم.

حمامة: فعلًا يا أستاذ بولس، تلاقي العيل من دول السجارة في بوقه، والمطوة مش بتفارق جيبه! صح النماذج دي قليلة في بلدنا، بس إحنا عاوزينها ما تبقاش موجودة أصلًا.

بولس: تعرف يا حمامة! أنا أيام التدريب كان لى اتنين من أساتذتي بيدربوني: واحد مسلم، والتاني مسيحي، والاتنين لما يغضبوا يسبوا الدين! واحد منهم كان بيحب يلعب رياضة، بس مش بيمارسها كتير، والتاني كان عنيف، وما بيعملش حاجة غير إنه يزعق! تفتكر عملت إيه علشان أساعدهم يبطلوا سب الدين؟

حمامة: عملت ايه؟

بولس: اللي بيحب يلعب رياضة، جبتله مشايه بالكهرباء، وطلبت منه كل ما يغضب يستحمل لحد ما يوصل للمشايه، ويفرغ طاقته، وبعدين هيهدأ، وبكده ما يسبِّش الدين، والتاني جبتله دستة أقلام رصاص، وقلت له: كل ما تغضب وتشعر إنك ممكن تسب الدين، توقف، واكسر قلم من دول، وارميه في الأرض، اكسر واحد أو اتنين، إن شاء الله تكسرهم كلهم! بعدها هتشعر بتحسن.

حمامة: فعلًا كلام كويس، طب وحصل إيه! بطَّلوا يسبوا؟

بولس: أيوة، تصور يا حمامة! والاتنين بقوا أول ما يشوفوني يبتسموا، ويشكروني إني ساعدتهم إنهم يبطَّلوا العادة المُشينة دي.

محمد أمين: تعرفوا يا جماعة! في شيء غريب ومتناقض في حياتنا، وسبحان الله اللي ممشيها معانا بالبركة! الله يرحم جدتي كانت تقول: "كتر خيرك يا رب يا اللي صابر علينا وبترزقنا"، بالرغم إن بلدنا مليانة خير، وناسنا طيبين إلا إن في كوارث في تصرفاتنا بتحدث بكل تلقائية! يعني إزاي ناس دارسة قانون أو أساتذة بيعلموا الناس يسبوا الدين! ده شيء يحزِّن بجد! وحتى لو دى حالات نادرة، فمش لازم تكون في بلدنا اللي مليانة خير وبركة!

بولس: الشر والخير موجودين في كل حتة يا محمد يا أخويا، بل موجودين في كل إنسان، زمان أبونا ميخائيل لقى طفلين صغيرين بيلعبوا في الشارع، واحد منهم غلط، وسب الدين للتاني، قام أبونا سأله: يعني إيه الكلمة اللي قلتها له: "يلعن وبعدها الدين"! تعرف إنك كده سبِّيت الدين؟ تصور الولد رد عليه، وقال إيه؟

محمد أمين: قال إيه؟

بولس: قال يا أبونا، أنا مش أقصد أسب الدين، أنا أقصد أقله الله يلعنك؛ أنت ما عندكش دين! يلعن أخلاقك، كنت قاصد أخلاقه هو، مش الدين نفسه، فطلعت مني دينك، قام أبونا فهمه إن ده غلط، وإنه يقول لما يغضب: "ينصر دينك"، ومن لحظتها اتعلم، وبقى يقول: "ينصر

دينك"، تصور لو أبونا ميخائيل ما قالش للولد الكلام ده، مش كان ممكن يسب الدين لحد دلوقتي!

محمد أمين: صح كلامك.

بولس: تعرف بقى إن الولد ده كان مسلم! علشان بس نعرف إن مصر حلاوتها في وحدة أهلها وناسها، وإن كلنا واحد.

الشيخ زهران: صحيح يا بولس يا بني، وأنا كمان اتعرضت لنفس الموقف، وكان الولد مسيحي، وطلبت منه بدل ما يسب الدين ويلعنه، يقول: "ينصر دين أبوك"، أصل أنا وأبونا ميخائيل كنا في الموقف ده مع بعض، والولدين دول كانوا أصحاب، فلما اتخانقوا كل واحد منهم سب التاني ولعن الدين، فقررنا أنا وأبونا ميخائيل كل واحد ياخد ولد منهم وينصحوا بالراحة، فأنا أخدت حنا، وأبونا ميخائيل أخد محمود، ودلوقتي حنا ومحمود بقوا اتنين من أكبر الأطباء اللي في البلد، وبقوا أصحاب وحبايب، وأول ما ينزلوا إجازة، أول شيء يعملوه لما يرجعوا يزوروني أنا وأبونا ميخائيل، ربنا يديله الصحة والعافية.

محمد أمين: تعرف يا مولانا! فعلًا مصر منصورة برغم كل المشكلات إلا إن وحدتنا تميزنا، وما فيش حاجة كبيرة على ناس بتحب بعض، وبتجمّع علشان تقاوم الشر، وتنشر الخير، ويمكن ده اللي بيميزنا.

(١١)

لجنة المصالحات الأسرية.

بعد انتشار مشكلات متنوعة واللي منها زيادة حالات الطلاق، وانتشار مشكلات نتجت عن التفكك الأسري، قرر المثقفون ورجال الدين في المحافظة بالتعاون فيما بينهم كرجال دين ومثقفين وكبار رجال القرى وعلى رأسهم الأستاذ عباس من تكوين لجنة مصالحات أسرية، مقرها في المحافظات، ولها فروع في كل قرية، وأن تضم العمَد، والمشايخ، وبعض الناس المشهود لهم بالصلاح والتقوى، وبعض أعضاء مجلس الشعب، ويكون هدف هذه اللجنة حل مشكلات الأسر زي الثأر، والخصومات، وكمان حصر حالات الطلاق في كل قرية، والتدخل للصلح، وبناء أسرة قوية.

انضم للجنة الرئيسية في محافظة قنا كلٌّ من: الأستاذ عباس (صاحب الفكرة) والشيخ زهران، والأستاذ بولس، والأب ميخائيل والأستاذ بربري ولفيف من أهل البر والصلاح بالمحافظة، ومنهم بعض نواب مجلس الشعب.

أستاذ عباس في صباح اليوم التالى: صباح السعادة يا أولاد.

رد خالد: صباح الفل يا أستاذ عباس.

عباس: هو رمزي لسه ما جاش برده!

خالد: عادته ولّا هيشتريها! ما أنت عارف رمزي يا أستاذ عباس، وكل مره حجة شكل!

عباس: صحيح، يلا، يسلم ويجي، قل لي، مفيش حد سأل علي؟

خالد: أيوة، الشيخ زهران وأبونا ميخائيل سألوا عليك، وبيقولوا لك حصّلهم عند بيت "إسماعيل الطايش"؛ علشان اللجنة قررت تصالح ولده عبد العال على بنت خالته وزوجته "منى" اللي زمقانة (زعلانة) من شهر!

عباس: تمام، أشرب الشاي بسرعة، وألحق أروح لهم.

رمزي: صباح السعادة يا أستاذ عباس يا جميل أنت والأستاذ خالد العسل.

خالد: مش بقول لك! بكاش، ومحدش يعرف ياخد منه حق ولا باطل!

رمزي: والله مظلوم، لمّا تعرف أنا اتأخرت ليه، هتعذرني.

عباس: قول يا رمزي، اتأخرت ليه؟

رمزي: وأنا جاي في القطر، كان في واحد بيشحت، ومحدش في

العربية إداله حاجة، فقعد يزعق، ويدعي ويقول: يا رب، القطر يوقف لو محدش إداني حاجة.

وبعدين الناس تضايقت منه، وما حدش رضي يديله فلوس، فقرر يحسد القطر، وقال: القطر ده ماشي بسرعة زي الصاروخ، وماشي مثل الطلقة، وفجأة القطر وقف، وخد ساعة ونص يصلحوا فيه!

خالد "بضحكة": والله أنت بكاش، وشكل الكلام ده تأليفه منك وما حصلش حاجة.

رمزي: إن شاء الله أكلك وما أشوفك تاني يا أستاذ خالد إن ده هو اللي حصل!

خالد: يعمّر بيتك يا رمزي! هو أنت يا تطلع صح ، يا تموتني! منك لله يا بعيد!

أستاذ عباس "بابتسامة خفيفة": هو ده رمزي، لازم يعمل حبتين الهزار دول، معلش يا خالد.

يلا بقى يا أولاد، يا دوب ألحق اللجنة، خلوا بالكم من المكتبة، سلام.

خالد: سلام يا أستاذ عباس.

***

رمزي يتحدث مع أستاذ خالد: يا أستاذ خالد، بما إن الأستاذ عباس واللجنة بيعملوا تصالح للأسر اللي أهلها متخاصمين، طب ما يصالحوا جدى وجدتى؛ لا أحسن ليهم حوالي ١٠ سنين مش طايقين بعض!

خالد: إزاي يا رمزي! متخاصمين يعني؟ طب طلقها ولّا لسه على ذمته؟

رمزي: لا يا أستاذ خالد، هي لسه على ذمته، ومعاه في البيت، ومش متخاصمين، بس برده ما يحبوش يتكلموا مع بعض!

في مرة جدى بيقول لي: جدتك كانت تجبلي الفطار زمان، دلوقتى خايفة تجبلي الصينية بتاعت الفطار كأنى هعضها! ليه العمايل بتاعت جدتك دي يا رمزي! ليه! زليخة يا أخي!

عليَّ الطلاق يا رمزي، عيشتى معاها وإني مستحملها على اللي بتعمله ده! لو جيت في يوم وأعصابى فلتت وخنقتها أبقى معزور، ملعون أبو كده يا أخي!

خالد: واضح إن جدك عانى كتير يا رمزي! فكَّرني بعمي عبد الكريم؛ من يوم ما جاتله الجلطة واتمنع من القعدة مع مرات عمي وهو مضايق منها وكأن هي السبب! خصوصًا إن عيال عمي كبار، والبنات بيناموا في أوضة واحدة مع مرات عمي، وعمي بيبات لوحده، الحتة دى مضايقاه جدًا لدرجة إنه في يوم طلب إن مرات عمي تقعد معاه لوحدهم يدلعوا شوية، فغمزت له بعنيها، وقالت له بصوت واطي:

عيب يا راجل! اتلم! قام ناطط فوقها، واشتغل ضرب بالبوكس في وشها، ويعض في رقبتها، ويقول: لازم أخلص عليكِ! وولاد عمي حجزوه بالعافية!

رمزي: الظاهرة دى انتشرت جدًا يا أستاذ خالد! تفتكر لما نكبر هيحصل معانا كده، وهنقابل حريمنا صدفة!

خالد "مبتسم بصوت هادئ:" بص يا رمزي، ده أمر نسبي، يعني بيختلف من شخص لشخص حسب العشرة وطريقة التعامل وتأثرهم بالتقاليد، يعني زمان أهالينا كانوا بيتجوزوا صغيرين خالص، وكان الهدف الخلفة، فبمجرد ما يخلفوا والعيال تكبر، كده خلاص العلاقة بتموت بين الراجل والست، وبتتولد علاقة تانية خالص، عكس عادات وتقاليد ناس تانية هدفهم إنهم يفضلوا مع بعض بداية الزواج زي أخره.

وصل أستاذ عباس لبيت الحاج إسماعيل الطايش، والتقى بلجنة المصالحات، واللي كانت بتسمع من الحاج إسماعيل، وكان بيقول: المشكلة يا أخوانا من أول ما اتجوزوا من سنة، والمشكلة الحقيقية مش مشكلة الواد والبنت "يقصد هنا الزوجين"؛ لكن المشكلة الحقيقية مشكلة الأختين "يعني الأمهات"، الأختين مش طايقين بعض، الخالة تقول لبنتها: خلي بالك من خالتك لا أحسن تسلط الولد عليكِ، واطويه تحت جناحك، لازم تسيطري يا بنت! وكل شويه تتدخل في

حياتهم! مثلًا تقول: ما تخليش فلانة تزوركم، طيري ورها ومشيها، وفلانة عاملة لكم سحر؛ دى مش بتحب أبوكِ!

ويكمل الحاج إسماعيل: ومراتي تسلط ولدها، وتقول له: أوعى لخالتك! بتسلط البنت، لازم أنت تسيطر، وريها العين الحمرة يا ولد من أولها، وبصراحة يا رجالة، الوضع ده من بداية الجوازة لدرجة إن ابنى يا دوب ما قعدش مع مراته طول السنة شهرين على بعض؛ ينزل إجازة ٧ أيام ولا ٥ أيام، وتملي راجع على شغله، وطول الوقت يقضي أجازته نكد!

أستاذ عباس: أستأذن اللجنة إننا نسمع من كل الأطراف، كل طرف لوحده، نشوف أم عبد العال، إيه سبب المشكلة؟ ونسمع عبد العال، وبعدها نروح لأم منى وأبوها، ونسمع منها هي كمان.

الحاج إسماعيل: تمام، اتفضلوا.

ينادى على أم عبد العال: يا أم عبد العال، تعالي؛ كلمي أخوكِ الأستاذ عباس.

"ينتشر لفظ الأخوة بين الناس في الصعيد، وكذلك لفظ واد عمك".

أستاذ عباس: خير يا أم عبد العال! إيه هو سبب المشكلة؟ وليه واصلة للطلاق؟ دى بنت أختك برده!

أم عبد العال: اسمع يا أستاذ عباس أنت وكل أخواتي اللي قاعدين،

بنت أختي من يوم ما جات البيت عندي، وأنا مخلياها زى الملكة، النهار كله قاعدة في شقتها تتفرج على التيليفزيون، ومش بطلب منها حاجة، وبقلها البسي الأحمر والاصفر لولد خالتك، وعيشوا أيامكم، لكن ما ينفعش تحطي البودرة والأحمر والأصفر في وشك وأنتِ طالعة بره البيت، وكمان ما ينفعش تطلعى بره البيت بعد الجواز بمدة قليلة؛ ده إحنا زمان الواحدة ما كنتش تطلع من بيتها بعد الجواز إلا بعد سنة كاملة على الأقل، مش عارفة بنات اليومين دول طالعين خفيفين لمين! هو ده اللي طلبته من بنت أختي، مش عارفة مش عاجبهم ليه!

طلبت اللجنة سماع رأي عبد العال بما إنه صاحب المشكلة الرئيسية، وقعد معاه في البداية أستاذ عباس وأبونا ميخائيل، وعرفوا منه إن بنت خالته ماشية ورا كلام أمها، وإن أمها اللي هي خالته بتتدخل في حياتهم طول الوقت، وإنه من يوم ما اتجوز بنت خالته وهو حاسس إنه ملوش كلمة عليها، وده اللى مزعله خصوصًا إنها مش عارفة تكسب أمه في البيت، وكمان بتتنكد من أقل حاجة، وهو حاسس إنه ندمان على الجوازة دي، واللي في نظره بعدتهم عن بعض بدل ما تقربهم!

رحلت اللجنة عن منزل إسماعيل الطايش، وقرروا يروحوا منزل "إبراهيم العجلان" والد منى؛ علشان يسمعوا منهم، ويعرفوا وجهة نظرهم.

دخلت اللجنة بيت الحاج إبراهيم اللي كانوا محددين معاه موعد

سابق، وكان رافض ومُصر على الطلاق، لكن لمّا اللجنة أصرت، قرر يتنازل، ويسمعهم؛ لعل وعسى يكون في حل مرضي للجميع!

أستاذ مرقص كان قريب من الحاج إبراهيم العجلان، تقريبًا كانوا زملاء بالمدرسة من الابتدائية لحد الثانوية العامة، وفى مودة بينهم، علشان كده طلب من الحاج إبراهيم إنه ما يظلمش البنت، ويحاول يهدى، وما يحكمش على المواضيع بعصبية، وبالفعل حصل ده، وطلب الأستاذ مرقص إنه يسمع أكثر من بنت أخوه إبراهيم "منى" باعتبارها زي بنته.

دخلت منى، وردت السلام على عمها مرقص، وقعدت معاه وعرف منها لمّا سألها عن سبب الخلافات والمشاكل، قالت إن جوزها عصبي جدًا، وإنه أول أيام الجواز كان بيكوي لها الهدوم، ويدلعها، ويضحكها، وكان لذيذ أوى، لكن بعد ما سافر ورجع، وخالتها استلمته، وسلطته عليها، وبقى التعامل معاه صعب أوي، وكمان كل ما يتكلم معاها يزعق ويعلي صوته، ويسب لها الدين كتير لها ولأمها!

غضب أستاذ مرقص لمّا سمع إنه بيسب لها الدين، لكن ما حبش يزود الموضوع، وكتم ده في سره، وطلب من منى إنها تمسك أعصابها شوية، وتهدى، وتحاول تفتكر يا ترى إيه ممكن يكون سبب تغيُّره السريع والمفاجئ ده؟

ردت منى: يا عمي مرقص، أصله شغال في السياحة، وكان نفسه

يتجوز واحدة روسية اتعرف عليها قبل جوازنا، وكان بيحبها، وناوي يسافر معاها بلادها، ولما اتجوزنا قلت تاب وندم، لكن الظاهر إنه رجع تاني ليها، وطبعًا الأجانب لهم أوضاع وتقاليد غيرنا تمامًا، فممكن يكون ده اللي غيره، كمان خالتى طول الوقت عمالة تقول كلام وحش عنى وإن أمي بتسلطني! والكلام ده هو بيصدقه، وبالتالي معاملته معايا اتغيرت!

تصور! ده حتى مكالمتي بالتيليفون معاه مش بتخلو من الزعيق وبيحسسنى إنه ما بقاش طايقنى!

جلس أستاذ مرقص مع اللجنة، ووضح لهم الصورة، وإن السبب إن الزوج عبد العال ما لحقش يبني علاقة قوية مع مراته بالإضافة إنه بترابطه علاقة مع أجنبية، واللي زود من سوء العلاقة بينه وبين مراته هو عدم تفهم الأهل ومساعدتهم بشكل كويس للأولاد، وإنهم مش متفهمين إنهم لسه بيبنوا حياتهم، ومحتاجين دعم!

قررت اللجنة إن الأسرتين يجتمعوا مع بعض، ويدوا فرصة تانية للأولاد إنهم يبتدوا حياة نظيفة بدون تدخل من الأهل، وكمان علشان يضمنوا حياة مستقلة، طلبت اللجنة إن يكون في منزل مستقل بالزوجين ولو بالإيجار بعيدًا عن الأهل؛ علشان يضمنوا الحياة الهادئة للزوجين.

بلَّغ أستاذ مرقص وأستاذ عباس الطرفين، وعقدوا اجتماع تاني يوم من صدور قرار اللجنة، واتفقوا، لكن كان في خلاف على نقطة واحدة،

وهي إنهم يظلوا في الشقة اللي في بيت الحاج إسماعيل الطايش والد عبد العال، وطبعًا اللجنة رفضت، وقالت إنها متكفلة بإيجار الشقة الجديدة على حسابهم، ولو الحال اتصلح، وحب الزوجين يرجعوا تاني شقتهم القديمة بدون ضغط من حد، يرجعوا عادي، وده قرارهم.

بعد إلحاح شديد وافقت العيلتين على قرار اللجنة خصوصًا لما الشيخ زهران وأبونا ميخائيل وضحوا إن الأمر ده ممكن يكون مؤقت لحد لما الأمور ترجع لمجاريها والنفوس تتصافى.

***

اليوم التالى أستاذ يحيى الفلاتى سمع باللجنة، وقرر يكلم أستاذ عباس عن حالة ابن عمه جمال اللي عايش في قنا المحافظة، وطلق بنت عمته اللي عايشة فى البلد، واللي سايبها لا هي مطلقة، ولا هو قايم بواجباته معاها، وكمان عايش في المحافظة مع مراته التانية وكأنه ما لهوش بيت تاني يزوره ويطمن عليه!

يحيى الفلاتي: صباح الفل يا أستاذ عباس.

أستاذ عباس: صباح الفل يا يحيى، أخبارك إيه؟

يحيى: أنا بخير؛ الحمد لله، لكن عندي طلب، وأرجو إنك تساعدنى فيه.

عباس: اتفضل.

يحيى: أنا عرفت إنك واحد من أعضاء لجنة المصالحات على مستوى المحافظة، وإن فرع من فروع اللجنة بيهتم بالمصالحات بين الأزواج، وأنا عندى ابن عمي جمال مخاصم مراته القديمة، ومخليها زي البيت الوقف؛ مش راضي يطلقها ولا راضي يصالحها، ولأنها بنت عمته ومعاها أولاد منه ساكتة، لكن أمها واللي تبقي عمتى اشتكتلى، وقالت لي إني أحل الموضوع ودي، وأحاول أصالحهم على بعض.

عباس: أنا علاقتى بجمال محدودة، لكن ممكن نروح مع بعض، ونعمل محاولة.

يحيى: يا ريت يا أستاذ عباس، وممكن يسمع منك!

عباس: خلاص خليها على العصر، وكلمه بالتيليفون، وقل له جاينلك.

يحيى: حاضر.

يتدخل رمزي في الحديث: تعرف يا أستاذ يحيى! في خطة جهنمية تخلى جمال ولد عمك يصالح بنت عمته!

يحيى: قول يا رمزي.

رمزي: تجيب ولد جمال الصغير، وتروحوا تصلوا مع جمال في نفس المسجد اللي بيصلي فيه، وما تخليش جمال يشوف ولده، وأول ما يقيموا الصلاة تجري وتقعدوا جنبه، وتتفق مع ابنه قبلها إنه يجي في السجود،

ويدعي بصوت عالي، ويقول: يا رب، أبويا يصالح أمي، يا رب، أبويا يصالح أمي، لحد لما أبوه يسمعه، وأول ما يخلص صلاة أكيد هيتأثر، ويروح يصالحها.

يحيى: طب والله فكرة زى العسل، هي صحيح فيها تجاوز، لكن فكرة حلوة يا رمزي، والله لأعملها!

عباس: لا وأنت الصادق، أنت كمان تعملها مع مراتك لما تكونوا زعلانين، تصلي ركعتين، وتقول في الدعاء بصوت عالي: يا رب مراتى حبيبتى تصالحني، يا رب تيجي تصالحني، وهي هتسمع، وتصالحك!

يحي يدى: صح يا أستاذ عباس، فكرتنى بقصة للشيخ الشعراوي.

عباس: قلها لنا يا يحيى!

يحيى: كان بيقول قصة زوج أول ما حس إن مراته جايه تدخل عليه الأوضة، فضل يدعي، ويقول: يا رب، الولية تيجي تصالحني، قامت رايحة له وهي بتقول بصوت عالي: واخداني على فين يا أم هاشم؟ كأنها نايمة، والسيدة زينب قالت لها؛ روحي صالحي جوزك!

عباس "بضحكة: فعلًا، أي مشكلة مهما كانت صعبة أول ما الطرفين يقعدوا مع بعض، ويتصافوا، بينسوا كل حاجة، ومعظم المشاكل اللي بتحصل سببها الناس اللي حول الزوجين.



يحكي أستاذ عباس عن حالة طلاق حصلت في إحدى القرى؛ بسبب الناس اللي حول الزوجين، ويقول: الحكاية بدأت إن الزوج كرشه كبر شوية، وما عرفش يسيطر عليه، فقام الناس قرايب مراته وقرايبه برده يقولوا لمراته: جوزك حامل في الشهر الكام! طب هيولد إمتى! طب أنتِ مستحملاه إزاي! ده لو حبيتِ ترقصي معاه وأنتم مع بعض زي الجماعة الأجانب مش هتعرفى تحضنيه! يع على ده كرش! وبالرغم إن أمها تقول لها: يا بنتي، الراجل اللي ما فيهوش كرش ما يسواش ولا قرش! إلا إن الزوجة مصممة على الطلاق!

يقول الأستاذ عباس: إن الزوجة طلبت من زوجها الطلاق؛ بسبب ضغط الناس اللي حواليهم، ولمّا اللجنة عرفت السبب قررت تساعدهم، واشتركت للزوج في نادي رياضي بالمركز، وفعلًا لما استمر في الرياضة خلال شهرين، كان كرشه نزل، وعضلات بطنه ظهرت، ودلوقتي مراته بتبص في الصور القديمة، وتضحك!

يكمل الأستاذ عباس: تعرفوا يا أولاد! لكل مشكل حل، بس أهم حاجة خصوصًا في المشاكل الزوجية هو إننا نضيّق الخناق على المشكلة، يعنى نحصرها بين أطرافها بس، يعني أصحاب المشكلة الحقيقيين هما الزوجين، وما يدخَّلوش حد بينهم، لحظتها المشكلة مهما كانت صعبة هتتحل، ولو دخلوا حد يدخلوا بينهم حد يصلح، ويكون عنده وعي، وهما بيسألوه يكون هدفهم إنهم يحسنوا من وضعهم بدون ما يقولوا

إنهم مش طايقين بعض، والكلام ده!

يحيى: فعلًا يا أستاذ عباس، لمّا الطرفين يتقبلوا بعض، ويتكلموا مع بعض عن مشاكلهم، وإزاي يحلوها، بيكون أفضل!

رمزي: عاجبني فكرة إنهم لمّا يدخَّلوا حد بينهم ما ينشروش غسيلهم الوسخ قدامه، وإنهم بس يقولوا إنهم حابين يعرفوا رأيه عن إزاي يحلوا مشكلتهم، وده يخلي أي حد يدخل بينهم يكون هدفه الإصلاح، ويفهم إنهم مش هيتفرقوا أبدًا!

عباس: كويس يا رمزي إنك فهمتني من أول مرة، تعالَ؛ أرقيك يا بني بدل ما تتحسد!

رمزي: أيوة يا عمي عباس؛ لا أحسن أنت عارف إني بخاف موت من الحسد خصوصًا إني ذكي، والناس ممكن تحسدني، صوح!

***

خالد قال: يا أستاذ عباس، أنا في ناس جيراني إمبارح كانوا بيطهروا عيالهم الصبيان والبنات كمان، والبنات صعبوا عليَّ جدًا، وفضلوا يجروا في الشارع، والناس يجروا وراهم لحد لما مسكوهم، وأنا فضلت أنصح فيهم بلاش تطهروا البنات، وإن ختان الإناث القانون جرَّمه، وفى علماء كتير في الدين بيأكدوا إن الشرع كمان حرَّمه، لكن للأسف، ما حدش سمعني، وسمعت منهم كلام زي الزفت!

عباس: طبعًا ما فيش حد اقتنع.

خالد: خالص، ومنهم اللي قعد يقول: أيوة، ما أنت عاوز تركبنا العار يا أستاذ خالد! واللي يقولي: فين تعليمك أنت! والحريم فضلت تندب على خدودها لما سمعتني بقولهم بلاش يطهروا بناتهم!

رمزي: ما تفكرنيش بالطهارة يا أستاذ خالد خصوصًا طهارة البنات، تحس إن الواحدة لما تتطهر العفة كلها هتجيلها، أنا لما طهروا أخواتي البنات، قلت لهم زيك بلاش تطهروهم، قامت الخالة يامنة جارتنا قالت لي: بس يا رمزي يا ولدي! ما تبقاش مشتوت في دماغك، أنت عاوزهم يحلّقوا على الرجالة في الشارع لما يكبروا وتركبنا العار! الحمد لله إن محروسة قاعدة، ومحروسة دي اسم المرة اللي بتطهر البنات، وكانت الخالة يامنة تقولها: جومي يا محروسة، ونضفى البنات؛ لا أحسن المخفي عاوز يركبنا العار! قال ما نطهرهمش قال! قبر ياخدك يا مخفي!

عباس: فعلًا يا أولاد، الموضوع ده زاد عن حده، وأحب أفكركم إن لجنة المصالحات الأسرية مش بس هدفها تحل مشاكل الطلاق، لكن كل المشاكل المتعلقة بالأسر زي الثأر، وختان الإناث، وغيرها كتير، هدفنا نشر الوعي في القرى والمراكز، نفسي الناس تفهم، ووعيها يزيد يا أولاد!

البلد بتكبر وبتتقدم مش بإدارة وحكومة بس، لكن بوعي الشعب كله، مش ممكن نكون في ٢٠٢٢م، وإحنا لسه بنتكلم عن ختان الإناث

وخطورته، والأغلبية من الناس مش فاهمين، وكمان شايفين إن الوعي والتثقيف ده حرب ضدهم! مش فاهم إزاي هننهض ولسه النوع ده من التفكير منتشر بينا!

***

رمزي يجلس في منزلهم بقريتهم الصغير، ولأنه كان إجازة قرر يحاول يقنع أبوه إن ختان البنات مش محبوب وضرره كبير، وساعده الأستاذ عباس اللي دلّه على إنه يروح للجنة المصالحات بالمركز، وهما هيساعدوه في المهمة، وكمان نصحه إنه يشغل فيديوهات لعلماء دين بيتكلموا في الموضوع؛ علشان أهله يتقبلوه.

شغَّل رمزي التيليفزيون، ووضع فلاشة بها فيديوهات لعلماء أجلاء بيتكلموا عن موضوع ختان الإناث، أول فيديو كان الشيخ مبروك اللي رمزي بيحبه جدًا، وبيستمتع بكلامه، وخطبه.

تجلس أم رمزي، وأبوه، وأخواته البنات، وأخوه ياسر، وأخوه محمد، يسمع الجميع كلام الشيخ مبروك: بصراحة يا أخوانا، قلنا ميت مرة موضوع ختان الإناث، طالما البنت مولودة ما فيهاش بروز وزيادة أو تشوه يبقى بلاش ختان، وإن الطبيب هو اللى بيحدد، مش الناس تعمل حفلة وعزومة، وتودي بنتها لداية ممكن تموتها! اتقوا الله في أولادكم!

أم رمزي: يا قليل الأدب يا رمزي يا عديم الدم! يا واد، ما عندكش شرف ولا كرامة! إيه اللي أنت مشغّله ده قدام أخواتك وأبوك وأمك

ومش مستحي!

رمزي: يا مّا، ده الشيخ مبروك حبيبي، وبيتكلم صوح!

أبو رمزي: حبك بورص يا معفن! أنت يا ولد مش ناوي تتعدل وتتلم! أنا مش عارف مكتبة إيه دى وكتب إيه اللي علمتك تتنازل عن مبادئك وعاداتك وتقاليدك! جبت العار يا واكل ناس أبوك!

رمزي: بلاش يا بوى تاخد برأيي أنا أو رأي حد من المشايخ اللي بحبهم، اسأل أنت الشيخ علي أبو حامد؛ آديك بتحبه وواثق فيه!

أبو رمزي: أسأل عن إيه يا......!

رمزي: عن إنك ما تطهرش أخواتي، والطهارة هي معنى الختان، وارتبط المعنى ده بالختان؛ لأن أهل الصعيد شايفين إن الختان تطهير ونظافة!

أبو رمزي يمسك الشبشب، ويرميه على رمزي بشدة تجاه رأسه!

رمزي: آه! ليه كده يا بوي! كل ده علشان قلت لك ما تطهرهمش! طب طهرهم عند محروسة الداية!

وهو يتمتم، وينشك بدراعه، ويقول: يا كش محروسة تقضي عليهم خالص: واحدة تموت هالك، والتانية تنزع منها لقب المرة، وما تلقاش حد يتجوزهم!

أبو رمزي يجري وراه بالنبوت، ويجي خاله "حسين" يمسك في أبو

رمزي، ويهديه.

يقول أبو رمزي: ابن الـ.... جاب العار، وعاوز يفضحنا بين الناس! أخرتها كمان ما طهرش البنتة!

"والبنته جمع كلمة بت يعني بنت".

يهدأ الجميع، ويطبطب حسين على رمزي، ويقول: يا رمزي يا ولدي، أنت دايماً متفائل، وبعدين أنت عارف عادتنا وتقاليدنا! وما تنساش إن الشيخ الشعراوي قال: إن ختان الإناث اسمه الحقيقي خفاض الإناث مش ختان، وإن المقصد خفض الجزء اللي هو محل الإثارة عند المرأة؛ علشان غريزتها مش أقل حاجة تستثيرها، وبالتالي تفضل ملاصقة للراجل طول الوقت! يعني المقصد هو الحفاظ على كرامتها، وهنا نفهم إن مش لازم يتم استئصال مكان الخفاض بالكامل، لكن جزء منه فقط.

رمزي يبتسم، ويغادر المكان متجهًا الى المحافظة، قاصدًا منزل الأستاذ عباس، وهو يلوح بإيده، ويقول: عليه العوض، ومنه العوض في البنتين اللي حيلتنا!

يصل رمزي لمنزل الأستاذ عباس، ويلقي السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أستاذ عباس: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلًا يا رمزي، اتفضل!

دخل رمزي وهو حزين.

أستاذ عباس: خير يا رمزي! مش عادتك تزورني في البيت إلا لما تكون في كرب! طمِّني عليك!

رمزي: فعلًا يا أستاذ عباس، أنا مخنوق خالص.

عباس: خير يا بني! ليه! احكيلى، إيه اللي حصل مع أبوك؟

رمزي: أقول لك إيه يا أستاذ عباس! أبويا فضل يهزأ فيَّ، ويشتمني ومصمم يطهر أخواتى البنات، وأنا بصراحة خايف عليهم.

عباس: ولا تخاف ولا حاجة يا راجل! إن شاء الله ربنا يهديه، ويقتنع.

رمزي: يقتنع إيه بس! ده قرر يطهرهم عند محروسة الداية! ودي ما عندهاش رحمة يا أستاذ عباس؛ موتت ٢٣ بنت قبل كدا، وجابت برود جنسي لنص حريم البلد، أنا بقعد مع الرجالة، وبسمعهم لما يشتكوا لبعض، ويحسبنوا على محروسة!

عباس "بضحكة": ما تقلقش يا رمزي، حتى لو أبوك ما فهمش، وجيله مصمم على كده، فجيلك أنت فيه الخير إنه يحارب العادات دي، ومين عارف! يمكن يكون بكرة أحلى!

تمت بفضل الله.